مجمع الأمثال للميداني

دراسة لغوية دلالية

Majma'a Al-amthal  By Al-mydani

(A Linguistic Semantic Study)

إعداد الطالب
أحمد جاسر عبدالله العبدالله

الدكتور عمر الأسعد

الدكتور عمر الأسعد

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص
اللغة العربية وآدابها

جامعة الشرق الأوسط

كلية الآداب - قسم اللغة العربية

2010-2011

جامعة الشرق الأوسط
تفويض

أنا أحمد جابر عبدالله العبدالله أقوم جامعة الشرق الأوسط بتزويد نسخ من رساليات ورقية والكترونية للمكتبات، أو المنظمات، أو الهيئات والمؤسسات المعنية بالبحوث والدراسات العلمية عند طلبها.

الاسم: أحمد جابر عبدالله

التوقيع: 

التاريخ: ١٤/١/٢٠١٢
قرار لجنة المناقشة

غُرِضت هذه الرسالة وعلواني "مجمع الأمثال للميداني دراسة تجريبي دلالية",
واجريت بتاريخ 19 / 1 / 2011

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

- د. عثمان مصطفى الجبر

- د. عمر محمد الأسعد

- د. انتصار حسين جميل
شكر وتقدير

أتوجه بكلام الثناء والحمد والعرفان الله تعالى، ومن ثمّ للدكتور الفاضل عمر الأسعد، فلولا جهوده المضيئة، ولمساته البراقة، وصبره الكبير، وحلمه وسعة صدره، لما استطعت أن أخرج هذه الرسالة إلى عالم الواقع. فقد كُلّ تصويبها وتعديلها بفضل توجيهاته، وقد كان لي مثال الباحث الجاد المدقق والفعال، يعمل جاهداً لإرشادي إلى طريق البحث الصحيح، وعدم التواني في مسائل البحث حتى رغبت عن التواني في تمحيص المسائل وتدعيمها، فبارك الله سني عمره وزادها عطاء وأفاد من بعدي بفكره وعلمه الذي ما انفكّ نبراسًا لدرب البحث والباحثين، كلمات شكر قليلة يعجز حشاش القلب الذي تربع فيه أن يعبر عنها النسج، فقد أحتاجي بالرعاية العلمية السديدة، فنعم المعلم المخلص، فقد أتقدمه بالشكر الجزيل إلى عميد كلية الآداب في جامعة الشرق الأوسط، الدكتور عبدالرؤوف زهدي، لما له من أباب ببيضاء في توجيهي لطريق الدراسة، وفي توجيه الباحثين لطريق البحث العلمي الصحيح.

الباحث
الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى كل من:

أحب كتاب الله بم-------افيه
أحب سنة المصطفى عليه السلام
أب------- وأم-------
زوجتي العزيزة
فلذة كبري ي----------مان
الفاضل عمر الآسع------
قائمة المحتويات

الموضوع

الصفحة

التفويض

1

قرار لجنة المناقشة

1-16

الشكر

2

الإهداء

3

قائمة المحتويات

3

ملخص باللغة العربية

4

ملخص باللغة الإنجليزية

الفصل الأول: مقدمات عامة

1-16

موضوع الدراسة

2

أسئلة الدراسة وفرضياتها

3

هدف الدراسة

3

محددات الدراسة

4
تعريف المصطلحات

منهجية الدراسة

الأدب النظري والدراسات السابقة

الفصل الثاني: فن الأمثال في الأدب العربي، مقدمات عامة 17-84

أهمية الأمثل

تعريف الأمثل

بين الأمثل والحكمة، وبين الأمثل والقول

نشأة الأمثال وأنواعها

أغراضها وأهميتها وخصائصها الفنيّة

كتب الأمثال وقيمتها في التراث العربي

كتب الأمثال التي سبقت الميداني

مجمع الأمثال: مصنفه وآثاره، وأقوال العلماء فيه

سبب وضعه ومصادره

منهجه وما يؤخذ عليه

قيمته الفنيّة

طبعاته

بين مجمع الأمثال والمستقبلى
دراسة إحصائية
مصادر الأمثال وموضوعاتها وأنماطها
جدول إحصائي: تحليلها ودلالاتها
الفصل الثالث: دراسة تطبيقية
إن من البيان لسحرًا
إن الدليل الذي ليست له عضد
بعض القتيل إحياءً للجميع
سلاح ما يقتلن القيت
تعني الملككة إلى الحدادين
تكتلتك أمك أي جرد ترقص
جزاء سنمار
حسبك من غنى شبع وري
حظيبين بنات صفين كنات
الحديث ذو شجون
خطب يسير في خطب كبير
أخلي من جوف حمار
دع المرء وإن كنت محقاً
ذهباً أيدي سباً وتفرقوا أيدي سباً
رب أخ لك لم تلده أمك
رب رمية من غير رام
سقط في يده
أشأم من غراب البيين
على أهلها تجري براش
انصر أخاك ظالماً أو مظلمًا
النتائج والتشريفات
المصادر والمراجع
ملخص

قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول، خصوصاً الفصل الأول منها بتفصيل حول موضوع الدراسة، ومن ثم الحديث عن أهمية الدراسة وأسلوبها، وبعد ذلك الحديث عن هدف الدراسة ومحدداتها، ثم توضيح المصطلحات الواردة في الدراسة ومنهجيتها، وآخر مبحث في الفصل الأول تناولته فيه الإطار النظري والدراسات السابقة.

وفي الفصل الثاني تحدثت الدراسة عن تعريف الأمثال، والفرق بين المثل والعبارة التقليدية والحكمة والقول، ثم الحديث عن نشأة الأمثال وأنواعها وأعراضها وأهميتها، وعرضت لأبرز كتب الأمثال التي سبقت "الميداني"، وبعد ذلك سلَّت الضوء على مصنف الكتب وآثاره، والحديث المفصل عن الكتاب وطبعاته، وإبراز منهج الميداني في الكتاب، وإيقاع المقارنة بين المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ومجمع الأمثال الميداني، وقد عُقد في آخر الفصل الثاني من هذه الدراسة دراسة إحصائيّة لأمثال الكتاب، اختار منها الباحث الباب الثاني فيما أوله باء، وتناول في هذه الدراسة مصادر هذه الأمثال وموضوعاتها وأتّمها.
أماما الفصل الثالث فخصصه الباحث لدراسة نماذج متفردة متموجة كتاب الميداني للوقوف عليها، وتحليلها تحليلًا لغويًا ودلاليًا.

وقد ضمن الباحث هذه النماذج ألوانًا مما احتوى عليه الكتاب من أمثال، متصلة بالأمثل مأخوذة من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف، أو متضمنة من الشعر العربي، أو من أقوال العرب الفصحاء المشهورين، أو مما احتوت من أساليب بلاغية، أو صور بيانيّة، أو بديعية. وقام الباحث بتحليلها، والوقوف على أثر الدلالات التركيبية فيها، وبين الصيغ المستعملة فيها، وأثر هذه التراكيب في صيغة المعنى وتشكيله.

وتناول الباحث أيضًا ما ورد في هذه الأمثال من قضايا صريفيّة، وأثر استعمال المصادر والمشتقات فيها، وما وقع منها على وزن (أفعال)، وأثر هذه الصيغة في التركيب اللغوي للأمثال، ودلاليتها في صيغة التركيب المثلليّ، وما جاء مطابقًا منها لتركيب العربيّة وصيغها، وما كان منها مخالفًا لهذه التراكيب والصيغ.

وتوّجت الدراسة بذكر النتائج والتوصيات التي خلص إليها الباحث، وأبرزها قيام المهتمين من الباحثين بإجراء مقارنة بين كتاب الميداني وكتاب حمزة الأصفهاني: "اللغة الفاخرة في الأمثال السائرة"؛ ليكون الثاني موضوعًا بحث مستقل، وما يجب الالتفات إليه من وجوه إعداد فهارس شاملة ومفصلة للكتاب.
Summary

This study has been divided to three chapters.

The first chapter has been assigned with specifications about the subject of the study, its importance and questions. Then it came to explaining the terms mentioned in the study and its systematic. In the last section of chapter one, I talked about the theoretical framework and the previous studies.

In the second chapter, I talked about defining the proverbs, the difference among proverbs, traditional phrase, wisdom and saying. Also, I talked about proverbs, their kinds, their objects and their importance. After that I talked about the importance of proverbs books I illustrated the most remarkable ones which preceded "Al mydani".


The study was crowned by results and recommendations which I attained. The most important of these was what keen researchers did regarding comparing "Al mydani book" to Hamza Alasfahani's "; the second book to be on search independently.
Some of them have a repetition in AL mydani Proverbs. Others have been confused between general and specific proverbs, which include imperative and superlative styles that contrast the Arabian methods or techniques of preparing comprehensive index.
الفصل الأول

مقدمات عامة

تمهد:

إن الوقوف على المواطنين اللغة في الكتب التراثية من المهامات الجليلة، لذا
وقع اختيار الباحث على الاستغلال بهذا الموضوع منتخبا كتائب مجمع الأمثال،
للقرينة على الصيغ اللغة وما أفضت إليه من أبعاد دلالية، وهو رافد من
روافد التحليل اللغوي، أراد الباحث منه أن يقف على الجانب اللغوي مطلقًا
المفردات التي استعملت فيه، والجانب البياني كذلك.

ويعتبر موجم الأمثال الميداني كتابًا جليل الفائدة؛ لأنه استوعب الأمثال العربية
القديمة، ورائد في أهميته أنه دوّن طائفة من الأمثال المولدة، وقد اهتم العلماء به
اهتمامًا عظيماً، فقام بعض العلماء باختصاره، وبعضهم بنظمه شعراً، ليسهل على
الدارسين تناول مادته العلمية، ونقل حفظها من السطور إلى الصدور، وهي
طريقة ناجعة في حفظ العلوم تؤتي أكلها طبية للدارس.

وكما نعلم فإن الأمثال تعد المنهل العذب الذي يقصد حين دراسة تراث الأممة
الفكري والاجتماعي واللغوي، فكل مثل من الأمثال قيمته على المستوى الدلالي،
والمستوى النحوي، والمستوى الصرفي، والمستوى البلاغي؛ لذا فلا بد من الاهتمام بتشكيل الأمثال ودراستها لحفظ جزء مهم من التراث العربي وإغناء الدراسات التي تدور حولها. ومما يشار إليه أن كتيب اللغة تدوم بين طياتها من الأمثال ما نوهت به ليكون شاهداً نحويًا على القواعد اللغوية؛ ليعود بذلك أحد مصادر الاستشهاد في لغة العرب.

موضوع الدراسة:

على الرغم من وجود الدراسات حول كتاب الميداني، لم يجد الباحث فيما يعلم، دراسة مستقلة تتناول بدراسة كتيب مجمع الأمثال من الناحيتين: اللغوية والدلاليّة. وإن وجدت دراسات عالجت المستوى النحوي في الجملة العربية في موضوع الأمثال من حيث المطابقة أو المخالفة، أو المستوى الصوتي، ودراسة الصوت المفرد، والقطع الصوتي، والجملة. فقد وجدت أن أفعال رسمت الموسيقية: (مجمع الأمثال للميداني دراسة: لغوية دلالية) رافذًا للدراسات السابقة للكتاب، متوقفًا عند الصياغة اللغوية من حيث بناء الجملة وفق المستوى النحوي، متناولاً الجملة الاسمية في الأمثال من حيث المبدأ، صوره، والخبر، وأنواعه، والجملة الفعلية من حيث الفعل، والفاعل، وتناول المستوى الدلالي من حيث ورود الصيغ كالابتداء بالنكرة، وتناول المستوى الصرفي، ولفظيات البيانية.
أهمية الدراسة و أسئلتها:

لما كانت الدراسات اللغوية والدلالية معينةً لا نضب، رأى الباحث أن يتناول كتاب مجمع الأمثال، إذ وردت دلالات لأبد من توضيحها بشكل تحليلي لبيان مواطن اللفتات اللغوية، والأغراض الدلالية.

وستحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- هل استعملت في الأمثال العربية أساليب لغوية خاصة؟

- ما الغرض الذي تؤديه هذه الأساليب؟

- ما النواحي التي أضافتها الأساليب اللغوية إلى أمثال الكتب من دلالات؟

- هل احتوت الأمثال الأساليب الدلالية المتنوعة؟

هدف الدراسة:

ستقوم هذه الدراسة بتسلسل الضوء على كتاب مجمع الأمثال للميداني، وتحليل الناحية اللغوية فيه، لتكون دراسة تقول على الغاية اللغوية والدلالية في هذا الكتاب، إذ سيعرض البحث على اللغة المستعملة التي وردت في السياق بالإضافة إلى توضيح ما عكسه من معان ودلالات، مع العلم أن كل ما ورد في
سباق الأمثال من مفردات وأساليب له هدف ودلاله لا يمكن الاستعاضة عليه
بغيره ليؤدي تلك الدلالة.

محددات الدراسة:
تختص هذه الدراسة بمناقشة الناحيتين: اللغوية والدلالي في كتاب مجمع
الأمثال، وتحليل صياغتها، على أنني سأختار من هذه الصيغ نماذج في الدلالة
والأسلوب، اكتفاءً بها عن مثيلاتها.

تعريف المصطلحات:
• الأمثال: هي أقوال قصيرة موجزة تختزن مواقف معينة وخبرات خاصة،
والتي سهولة الحفظ والتلفين، وتقصد في مواقف مشابهة، وهي تحمّل انعكاساً
وضحاً لشقاء الناس وسعادتهم وضععفهم وفكرهم ويوسهم، والتعبير عن أحوالهم
النفسية وسلوكاتهم اليومية، ويعبر عنها بالشعر والنثر والأسجاع.
• الأمثال المولدَة: هي الأمثال المستحدثة التي سارت على ألسنة المستعربين،
وهي أمثال لا مجال للاحتجاج بها في النحو واللغة، ولا يعني هذا نفي البلاغة أو
الفصاحَة عنها.
دراسة اللغة العربية: دراسة تقوم على تتبع ألفاظ وتراكيب لغوية مخصصة

استعملت في صياغة الأمثال، أو تكراراً ورودها فيها، وقد تقدت هذه الدراسة إلى تصور معجم لغوي خاص بأمثال الكتاب.

دراسة الدلالية: يقصد بها تتبع الدلالات الخاصة بالألغاز والتراكيب اللغوية.

ووكذا الدلالات الخفية الكامنة وراء الأساليب اللغوية من تقديم وتأخير وحذف.

منهجية الدراسة:

تقوم الدراسة على المنهج الوصفي (تحليل المحتوى) الذي يعتمد إلى وصف ظاهرة من الطواهر والعوامل السياقية التي تتحكم بها في بعض الأمثال العربية، وذلك بالوقوف على صيغ التركيب اللغوي والبلاغي الواردة فيها، ليبيان ميزاتها عن الأقوال الأخرى، وتحليل دلالاتها بالاستناد إلى كتب اللغة والبلاغة العربية، وتحليل الألفاظ وفق السياق الوارد فيها، والصور وفق الدلالات التي ترميها.

الأدب النظري والدراسات السابقة:

لافتة الأمثال أنظار العلماء واللغويين القدماء، كما شهدت انتباه الباحثين المحدثين إلى متتابعة هذه الظاهرة اللغوية، وانعكس ذلك الاهتمام بتصنيف القدماء مصنفات عديدة، دارت حول جمع الأمثال العربية وشرحها وتبويهها، وذكر المناسبة التي قيلت فيها، وكثفت هذه المصنفات عبر العصور الأدبية المتعاقبة.
حتى أخذ اللاحق منها عن السابق ، ولكنها حفظت في مجملها تلك الأمثال ، وأصبحت مستودعًا لها ومرجعًا ثمينًا لا غنى عنه في المكتبة العربية . أمّا الباحثون المحدثون فقد تصدوا لدراسة هذه الأمثال ، وتناولوها من وجهات نظر مختلفة ، فقد اعتمدوا بشرحها وتبويها وبيان معانيها ، وعكفوا على تناولها بدراسات متبينة

وهذه طائفة من هذه الدراسات :

• أفرد قطامش (1988) كتاباً بعنوان : ( الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية ) ، تحدث فيه عن تعريف المثل ، ومضربه ، وموهده ، والحكمة ومعناها والعلاقة بينها وبين المثل ، وأقوال العرب وكلماتهم السرية ، والفرق بينها وبين الأمثال ، وأنواع المثل العربي ، ومن ثم انتقل إلى الدراسة التاريخية حيث تحدث عن مصنفات الأمثال العربية ، وتناول هذه المصنفات على امتداد القرون ، وقامت بالدرس والتحليل لهذه المصنفات وأثبت ما ورد فيها من خصائص ، مبينا أن بعضها يغلب فيه الاتجاه اللغوي الذي يفسر الغريب ، ومدى اعتناء هذه المصنفات بإبداد الشواهد الشعرية ، واهتمامها بذكر موارد الأمثال وأصولها ، وإلى غير هذه الخصائص المبثوثة في تلك الكتب .

وتحدث عن تدوين الأمثال في العصورين : الأموي والعباسي : " الأول و الثاني " ، والأطراف التاريخية للأمثال ، وتحدث عن الأمثال في الدراسة اللغوية
حيث تتناول موضوع تعدد الروايات في الأمثال، والاستشهاد بالأمثال على مفردات اللغة وتراكيبها، ومعاني الأمثال بين الوضوح والغموض، وتتناول في دراسته الأدبية للأمثال بلاغة المثل والصور البيانية فيه، ودور الشعر في نمو الأمثال وتكرارها، وقصص الأمثال، وأما الدراسة الاجتماعية للأمثال فقد تناول فيها الأخلاق الاجتماعية والفردية، والعادات والمعتقدات، والبيئة الطبيعية من حيث التمثال بالحيوان والنبات والجبال والأماكن والبلدان.

• طرح الشريحي (1994م) رسالة بعنوان: (الأمثال في القواعد اللغوية)، تتناول فيها الدراسات التي تحدثت عن الأمثال، وبعد ذلك انتقل إلى الحديث عن تعريف المثل في اللغة والاصطلاح، وتعريف المثل في كتب الأمثال، والفرق بين القول والمثل، وصعوبة التفريق بينهما في غالب الأحيان، وتحدث عن نظرية النحوة للممثل أهو ضرورة أم سعة، وناقش العبارات التي تتردد على ألسنة النحويين عن الأمثال كقولهم في المثل أنه لا يتغير، وغير ذلك من تلك الأقوال، وناقش الاختلاف في روايات المثل في كتب النحو، وتحدث عن الأمثال وموقعها من الشواهد النحوية. وبين أن ما ورد منها شواهد نحوية في كتب النحو المشهورة، واستدل بها النحاة في صياغة القواعد اللغوية قليلة نسبياً. وتعقب الأمثال التي وردت شواهد على قضايا صوتية وصرفية، وناقشها بالدرس والتحليل، وبين أن ما ورد في كتب النحو من الأمثال التي خالفت القواعد اللغوية يعد من الضرورات
كما أوضح علماء النحو، ولم تتعرض دراسته للأمثال من الناحية الدلالية، لأن
الغرض المسوق من الدراسة يقوم على تحليل الأمثال الواردة في كتب النحو مـ

الناحية الصوتية والصرفية والتركيبية.

• طرح يعقوب (1995) دراسته: (موسوعة أمثال العرب) في ستة أجزاء،
وخصوص الجزء الأول من الموسوعة بدراسة مفصلة للأمثال، تناول فيها: تعريف
المثل في اللغة والاصطلاح، والفرق بين الحكمة والمثل، والفرق بين المثل
والعبارة التقليدية، والفرق بين المثل والغيرة، والمقصود من عبارة: ضرب
المثل، ونشأة الأمثال وتطورها التاريخي. ثم انتقل للحديث عن أسلوب الأمثال
من حيث البلاغة والإيجاز وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة
والاستعارة والسجع والسابغة والموسيقى وتنوع الصيغ اللغوية، وعدم تغيـ
الأمثال مهما اختلفت الأحوال التي تضرب بها.
وتحدث بعد ذلك عن مورد الأمثال من حيث النظر إلى أسبابها، وأسلوب الأمثال،
وأهميةها.

ثم عرض للكتب المتخصصة التي ألفت فيها على امتداد القرون، نحو كتب أمثال
القرآن الكريم، وأمثال النبي صلى الله عليه وسلم، وأمثال الإمام علي كـرم الله
وجهه، وأمثال الشعراء، وأمثال الأبياء والفلاسفة وغيرهم. ثم عرض لكتـب
الأمثال العقلية، فذكر عددًا منها، وعرض بعد ذلك لكتاب الأمثال اللبنانية، ثمـ
تحدث عن الدراسات الأوروبية لأمثال العرب. وقام في الأجزاء الأربعة التالية من موسوعته بجمع كل كتب الأمثال حسب تسلسل تأليفها، ثم أفرغ مضامينها ومحتواها في هذه الموسوعة مرتبة حسب الحروف الهجائية، وقام بتوثيق كل مثال وتخرجه في كتب الأمثال التي ورد فيها، فصارت مراجعة هذه الموسوعة بمثابة مراجعة لسائر كتب الأمثال، لأنها أفرغت فيها.

وقام بشرح المعاني المرادة من كل مثل، وبين أصولها، وأثبت ترجمة موجزة لكل عم من الأعلام التي ترد عنده أول مرة في المثن، وتحدث عن مسألة تعدد الروايات للمثل الواحد، موردا الروايات المتعددة، محيلا إلى رواية معينة إذا وقع الاختلاف في الكلمة الأولى من المثل، أما إذا وقع الاختلاف في غير هذه الكلمة فكان يثبت الروايات المتعددة المختلفة في مكان واحد، وميز بين الأمثال الفصيحة والمولدة، وأشار إلى الأمثال المولدة بكلمة : ( مولد ).

وأما في الجزء السادس من موسوعته فقد عقد فيه مستدركًا على الموسوعة حيث ظهر له بعد الانتهاء منها كتاب ( نثر الدر ) للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي، ووجد أن بعض الأمثال التي تضمنها كتاب الوزير لم يثبت في موسوعته، فأثبت هذا المستدرك ليكون عامة الاكتفاء فيه على كتاب نثر الدر للآبي، ليورد الأمثال التي أفرغها من كتابه في موسوعته. وقد أثبت في مستدركه ثلاثة مناهج، الأولى منها للحديث عمّا يمثل به من الشعر، والثاني...
فيما ضُرّب به المثل، والثالث في المكتَن والمبني. وحتم موسوعته بعدد مـن
الفهارس عمّد إلى تقسيمها إلى ستة أقسام فخصّ القيمة الأول منها بالآيات القرآنية
الكريمة، والثاني بالأحاديث النبوية الشريفة، والثالث بالأشعار، والرابع
بالأرجاز، والخامس بالأعلام، والسادس بالمصادر والمراجع.

• قدم شاهين (1996م) أطروحة بعنوان: (الجملة الفعلية ودلالياتها في مجمع
الأمثال للميداني)، تتناول في فصولها: تعريف المثل، وبعض الفنون الأدبية
الأخرى، من مثل: الحكمة، وأقوال العرب، وعرض الفروق بينها وبين
المثل، وتشمل بحثا أيضاً عرضاً لأهمية الأمثال، ومراحلها التي تم فيها تدوين
الأمثال، ومدى الاحتجاج بها، ومدى سيرورتها في الكتب اللغوية وال نحوية.

ونظر إلى الجملة الفعلية في كتب النحو، لبرى مدى تضمن الأمثال مظاهر الجملة
الفعلية، مستشهرًا على ذلك بما ورد في مجمع الأمثال مـن الجمل الفعلية
ومضامينها كالحديث عن الفعل والفاعل، وحكم الفعل مع الفاعل، وعلامات
إعراب الأفعال، والحديث عن نائب الفاعل، وبناء الفعل للمجهول، وبعدها انقل
للحديث عن الخلف حول بعض الأساليب العربية، مثل: السنهاد،
والاختصاص، والتحذير والإغراء، والاشتغال، والمنتقى، والعذب،
وجوابًا في عامل المصدر، وعامل النصب في المفعول معه، ونعم وبنف أفـعـالن
هناك أمام إسمان؛ وأفعل التعجب أ اسم هو أو فعل؟ ويقدر العوامل المحدودة،

وتحدث عن وظيفة الجملة في الدرس البلاغي، والخبر، وأعراض المنكلم من
الخبر، وأضرب الخبر، وخروج الخبر عن مقتضى الظاهرة، والإنشاء،
والأمر، والنفي، والاستفهام، والتنميمي، والنداء، والقسم. وعقد المواجهة بين
الجملة الفعلية في مجمع الأمثل والجملة الفعلية نحوها، وعقد مواجهة بين الأساليب
البلاغية وما ورد في مجمع الأمثل من أضرب البلاغة، وما جاء منها مطابقاً
لكتب البلاغة، وما جاء منها زائدا عند البلاغيين.

• وضع السلفي (1999) رسالة بعنوان: ( الخصائص الأسلوبية للملف في كتاب
مجمع الأمثال للميداني) ، تتناول في فصولها: المستوى الصوتي ، فدرس
موسيقا الأصوات والمقاطع ، وتتناول من خلالها موسيقا الصوت المفرد ، وموسيقا
الصوامت والصوائط، ومن ثم انتقل إلى موسيقا المقطع ، فدرس المقطع
المنفصل والمقاطع المنفصلة، ودرس خلال طبائف المستوى الصوتي موسيقا
الألفاظ القائمة على توافق اللفظ واختلاف المعنى ، وموسيقا الألفاظ القائمة على
توافق اللفظ والمعنى ، وموسيقا الألفاظ القائمة على توافق الأطراف ، وموسيقا
الجمل والتراكيب ، وإسهام كل ذلك في تشكيل المثل ، وكان يدرس الوظائف
والدلاليات التي تؤديها هذه الأشكال الموسيقية وعرض على الأمثال الشعرية فدرس
بنيتها الصوتية، وعقد مقارنة بين وضع المثل في الشعر والنثر، وفي المستوى

11
التركيبي درس مظاهر الإجاز بنوعيه : إجاز القصر و إجاز الحذف ، ووظائف الإجاز ، وبعدها انتقل إلى دراسة البنية الثنائية ، وتناول فيها مظاهر الربط اللفظي من خلال دراسة الربط بالواو ، والفاء ، والربط بـ أداة الشرط ، وبعدها تناول الربط المعنوي ، وتحدث عن المظاهر التركيبية للنهي والاستفهام والنداء والتمني ، ودرس ظاهرة التقدم والتأخير ، وأشكال التقديم والتأخير ، والعلاقات القائمة بين المتقدم والتأخير ، ووظائف التقديم والتأخير ، وفي المستوى الدلالي اكتفى بدراسة الصورة والاستعارة التمثيلية ، والكتابة ، والصورة الداخلية القائمة على التشبيه ، والصورة الداخلية القائمة على المجاز ، والمقابلة ، والعلاقات القائمة بين الألفاظ المتناثرة .

• أعد الباحثان بني ياسين و الربابعة ( 2001م) كتابا بعنوان : ( المرأة العربية ودلالاتها في مجمع الأمثال للميداني ) ، وهو دراسة نقدية ، تناول فيها الباحثان المرأة من أربعة محاور رئيسية ، خصصَ المحاور الأول للكلام على المرأة في جوانب متعددة من مراحل حياتها المختلفة : حيث بنيَّ المرأة الوليدة التي كانت تُتوأَد في الجاهلية ، وتناوَلها فتاة معجبة بأبيها ، وتناوَلها عروسها ، وتناوَلها بحيلي ، وتهقف في حدثهما حيّن المرأة المنجبة ، والمنطقة ، والأم ، والحرَة ، والنكلى ، والرقوب .
وتناول المحور الثاني المرأة ووظائفها الاجتماعية، حيث فصلا الوظائف الاجتماعية المتعددة للمرأة التي كانت تمتهنها في حياتها، فقد احتلت المرأة الجوانب المتعددة في العمل، فكانت شريكة الرجل في أغلب الأعمال التي تتمكن من القيام بها، وفي ذلك يظهر لنا أنها كانت عالمة وعاملة وقادة وداية وحربية وأمة ومغنية ومحاربة وحاكمة.

وتناول المحور الثالث المرأة وجمالها، وخلصنا من ذلك إلى نتيجة هي أن جمال المرأة احتل أكثر من نصف الأمثال، مما دلنا على أهمية هذه السمة، وأبرزنا كذلك تركز الأمثال على المرأة من الناحية الجسدية قبل النظر في السمات النفسية.

وأما المحور الرابع فقد تناولنا فيه زنى المرأة وأسبابه، والدوافع التي كانت تدفع المرأة للزنى، وبيتا أن أبرز أسباب الزنى في أمثال العرب نظرية المرأة إلى الرجل المسن، وعمل المرأة منفردة، والحاجة الماسة للإنجاب، وجبن الرجل وضعف شخصيته، وغياب الزوج.

يتبين من خلال عرض الدراسات السابقة أنها تناولت جوانب مختلفة عمّا ستنطلق منه هذه الدراسة، فدراسة قطاعي ركزت على مفهوم المثل، وأنواعه، ومصنفات الأمثال، والأطراف التاريخية للأمثال العربية، وتناولت عدد الروايات، والدراسات ....
في الأمثال العربية، والاستشهاد بالأمثال على مفردات اللغة، ومعاني الأمثال بين الغموض والوضوح. وتناولت دراسته الأدبية للأمثال مكانة الأمثال بين فنون الأدب، وبلاغة الأمثال، وآخر فصول دراسته كان دراسة اجتماعية للأمثال العربية.

وأما دراسة الشريقي فقد عرضت للأمثال على أنها شواهد نحوية ومناقشة ذلك، أما دراستي هذه فقد قدمت عن دراسة الأمثال كشواهد نحوية مما يظهر الفرق بين الدراستين.

أما دراسة إميل يعقوب فهي موسوعة شاملة قدم لها بدراسة عامة للأمثال في الجزء الأول من الموسوعة، ثم أفرغ الأمثال العربية كلها في أجزاء الموسوعة.

والحق أن هذه الموسوعة تغني عن كتب الأمثال من حيث إنها تقدم للباحث المثل موثقا ومشرحًا، وإذا كان لدراستي أن تلتقي مع هذه الموسوعة فإن هذا الالتفاق يقع في الجزء الأول منها، وهنا أذكر أن دراسة يعقوب الأمثال في الجزء الأول لم تعرض لما ستقدمه هذه الدراسة من معطيات تتجه نحو الدراسة اللغوية الدلالية للمثل.

أما دراسة شاهين فقد قامت على تعريف المثل، وبعض الفروع الأدبية الأخرى المتصلة به، من مثل: الحكمة، وأقوال العرب، وعرضت الفروق بينها وبين المثل وتشمل بحثاً أيضاً عرض أهمية الأمثال، والمراحل التي تم
فيها تدوين الأمثال، ومدى الاحتياج بها، ومدى سيرورتها في الكتب اللغوية وال نحوية، و يظهر للباحث أن مباني هذه الدراسة على تناول الأمثال في الجملة الفعلية من جانب، ومن جانب آخر الخلاف في بعض أساليب العربية، أما دراستي هذه فستعرض لنماذج متفرقة من الأمثال بيان معناها ولمان تضرب وتخرج شواهدها وشرحها وتحليلها.

وأما دراسة السلفي فقد ركزت على الوظائف الصوتية التي تؤديها ألفاظ المثل، وكان يدرس الوظائف والدلاليات التي تؤديها هذه الأشكال الموسيقية، وفي المستوى التقني درس مظاهر التقدم والتأخير، والإيجاز، وفي المستوى الدلالي اكتفى بدراسة الصورة والمقابلة، وأما دراستي هذه فلن تناول الدراسة الصوت، وما تؤدية المقاطع الصوتية في دراسة الأمثال.

أما دراسة بني ياسين والربابعة فرصدت جانب المرأة ممن أربعها محاور رئيسية، تناول فيها الجوانب المتعددة لها، والوظائف الاجتماعية، والحديث عن جمال المرأة، وزنها المرأة وأسبابه.

وسوف تفيد هذه الدراسة من تلك الدراسات السابقة، فتنتظر إلى الجوانب اللغوية في دائرة أكبر من دائرة الجملة الفعلية واستخدامها في الأمثال، وتضيف إلى الألفاظ ودلالاتها، الألفاظ المكررة والمنقاة في صياغة المثل، إضافة إلى الوقوف على الأمثال الفصيحة من الأمثال المولدة، وكذا تتبع الدراسات واللغة
المستخدمة في الأمثال، مما قدرت عنه موسوعة إميل يعقوب، أما هذه الدراسة فستمعن في الجانب الدلالي من حيث استخدام الأساليب البلاغية المتعددة من تشبه، واستعارة وطبق وغيرها من أساليب الإنشاء الطلبي، والإنشاء غير الطلبي، والوقوف على لغة الأمثال نفسها، ومدى مناسبة الألفاظ للدلاليات، ومعالجة الأمثال من حيث اللغة والأسلوب والخصائص، إضافة إلى الموضوعات التي تناولتها الأمثال، ومدى التطبيق والتشابه بين الأمثال العامة والفصيحة، والنظر إلى ضرب المثل ومورده، وتخرج الشواهد الواردة في الأمثال، وبيان معاني الأمثال المنتقاة وشرحها.
الفصل الثاني

فَن الأمثال في الأدب العربي

مقدّمات عامة

أهمية المثل:

تعد الأمثال المناهل الذي يراد حين دراسة تراث الأمة الفكرـي والاجتماعي واللغوي وفق عاداتها وتقاليدها، فكل مثل قيمته على المستوى التحليلي للغة، ولذا دعت الحاجة إلى الاهتمام بتلك الأمثال لما لها من أهمية في حفظ تراث الأمة اللغوي. وينقل لنا الزمخشاري قوله في الأمثال: "هي قصاري فصاححة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبضبة منطقها، وزبدة حوارها، ولباغتها التي أعربت عن الفرايق السليمة، والركن البديع إلى ذرابة اللسان وغرابة اللسان، حيث أوجزت اللفظ فأشيعت المعنى، وقصرت العبارة فأطالالت المغزى، ولوحت فأغـرت في التصريح، وكتبت فأغـبت عن الإفصاح". (1)

(1) المستقصى في أمثال العرب ص 2.
ويهذا يكشف الزمخشري جوانب مهمة في دراسة الأمثال، ويدعو إليها من خلال إشارته إلى أنها منبع الفصاحة لدى العرب، وترمز إلى جوامع الكلم وبلاغته، وتشتمل على الحكمة البالغة، وبراعة المنطق في التفكير، إضافة إلى الإيجاز دون الإخلال بالمعنى، والقصر في الجمل الموسقة فيها.

وقد شغل العلماء القديمي بتأليف كتب الأمثال، وبعضهم تناولها بالدرسة والتحليل، والشرح والتفسير، إدراكاً منهم لأهميتها، وأهمية البحث فيها، فقد حوت طبيات كتبهم العلوم اللغوية، والمسائل النحوية، والأسرار البلاغية.

ويبرى الباحث أهمية الأمثال من خلال ايرازها الكلام والمعاني الدلالية المرادة، وأنها تكسو الكلام الطالوة والجمال، وترفع من قدر الكلام، وتحرك النفس لحفظها، وتدعو الخاطر لتدوالها، وتلقى في النفس لسهولة لفظها.

يقول الحسن اليوسي: "فلا يخفى على ذي ميّزٍ و لا يشتهبه على ذي لبٍّ ما جعل الله تعالى في المثل من الحكمة، وأودع فيه من الفائدة، وناظر به مرن الحاجة، فإن ضرب المثل يوضح المنبهم، ويفتح المنغلق، ويه بصرو المعنى في الذهن، ويكتشف المعنى في اللبس، ويه يقع الأمر في النفس حسن موقع، وتقبله فضيل قبّول، وتطمن به اطمئنانا، ويه يقع أذناً الخصم، وقطع تشوّف المعترض.

المعترض".(1)

(1) زهر الأكم في الأمثال والحكم ص34.
وهكذا يرى الباحث أن بعض العقول تستعين على الفهم بضرب المثل، وأيضاح المعنى المبهم، وفتح غلق المسائل، وإزالة اللبس عن المتشبته من الفهم.

ولحسن ورود ذلك كله فإنها تقفع العقل وتنزل فيه خير منزل، وتطمئن إليه القلوب.

ويقول جان عبد الله توما في مقدمة تحقيقه مجمع الأمثال: "ولقد أدرك علماؤنا الأقدام أهمية هذه الأمثال، فأقبلوا عليها جميعاً وتضمنوا، وشرحها تعملاً، وذكرنا لأصولها ورواياتها المختلفة إلى غير ذلك من الأمور التي تتعلق بها، وقيلنا نرى علماء من أعلام الأدب المصنفين الكبار إلا وبين مصنفاته كتاب في الأمثال، أو في كتاب من كتبه فصل فيه، أو أمور متعلقة بها". (1)

ويوضح لنا النص السابق من خلال تفحصه، والنظر فيه، أن الأمثال مكانة خاصة؛ لأن في العناية المستمرة والمتبعة لأي من الفنون إشارة إلى أهمية هذا الفن، وبها ينجل ما به من الأسرار الدقيقة، والنوادر العظيمة، ولهذا أولى الأقدام الأمثال أوليات مصنفاتهم لتكون تلك المصنفات دالة على شأن هذه الأمثال.

(1) مجمع الأمثال 1:5.
و بهذا يرى الباحث مكانة الأمثال في الأدب العربي حيث هي الشاهد في الكلام على المعاني المرادة، وتزيد من منطق الكلام وضوحًا وجمالاً، ولها قدر في النفوس، وحلاوة في الصدر، ومن خلال سهولة ألفاظها، وقصر جملها يسهل حفظها على الدارسين، علاوة على دورانها في المصنفات اللغوية، والشروحات النحوية، ليتخذ منها العلماء شواهد نحوية على المسائل اللغوية فقد سجلت دوراً في حفظ التراث اللغوي للأمة، ولا نغفل عن الأهمية البيانية لها وما في ذلك من جمال، وكفاها أهمية أن جُلّ العلماء القديم قد دوّنوا فيها المصنفات، أو أشاروا إليها بين طيات كتبهم، أو اتخذوها شاهدة في دفائن كتبهم.

تعريف المثل:

أوردت المعجمات المعاني التالية في حدّ المثل لغة واصطلاحاً (1):

المثل: الحجة والحديث، وقد مثل به تمثيلاً، وامثلته وتمّته وتمتّله به.

والملّ: الصفة، ومنه ما جاء في التنزيل العزيز: "مّثل الجنة التي وُعِدَ المتقُونَ تجْرِي مِن تُحْتِهَا الأنهر أكْلِلها دَائِمٌ وَظلِّلَهَا " (2) ومثلها: هو الخبر عنها. قال أبو حيّان (3): "تجري من تحتها الأنهار" تفسير لذلك المثل، وتقول: مثلت الشيء

(1) انظر (مثل) في القاموس واللسان والنتاج والجمهرة والمقاييس.
(2) الرعد: 35.
(3) النهر الماء: 389 وابعدها.
إذا وصفته وقربته للفهم، وليس هنا ضرب مثل، فهو كقوله: "ولله المثالُ
الأعلٍ في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم" (1) أي الصفة العليا ".

والمثال صفة الشيء، وتمثِّل بالشيء: ضرمه مثله، والمثل: الشبيه، يقال:
هذا مثِّله و مثله كما يقال: شبيهه و شبيهه، بمعنى، والمثل يدل على مناظرة
الشيء للشيء، والمثل المضروب مأخوذ من ذلك.

والمساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمنتقفين، والتماثلة لا تكون إلا في
المنتقفين، تقول: نحوه كنحوه وفقهه كفقهه، فإذا قيل: هو مثِّله على الإطلاق،
فمعناه أنه يسد مسه ب، وإذا قيل: هو مثِّله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة.

يرى الباحث أن صاحب اللسان فرق بين المماثلة والمساواة حين نقل قول ابن بح.
يرى في ذلك حيث وضح أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمنتقفين،
أما المماثلة فلا تكون إلا في المنتقفين فقط.

أما صاحب التاج فقد بين أن المعنى المقصود من المثل، هو، الصفة، وأما
المثل بالكسر عندنه فهو: المقدار، وما جعل مثالاً لغيره يُتمثِّل به ويضرب لغيره،
وأما ابن دريد فقد وضح أن المثل النظر، وأما ابن فارس فقد اعتمد في المعنى

(1) الروم: 27.
على المناظرة والتماثلة بين الشئين، وَبِئْنَ أنَّ المَثْلَ الَّذِي يَضْرِبُ يَقعُ على هَذَا المَعْنِيَ.

وَبَعْدُ هَذَا الْعَرْضِ فِي عَدَدٍ مِنَ الْمَعِمَمَاتِ اللَّغوِيَّةِ نَلْحُظُ أَنَّ مَادَةً : ( مَثْلً ) تَدُور حَولَ الشِّبهِ، والنظير، والمثاثلة، ومناظرة الشيء للشيء.

وَقَالَ إِمَيلٌ يَعْقُوبُ : "وَالأَصلُ الْعَالِمُ لِهذِهِ الْكَلِمَةِ يَتَضَمَّن حُسْبُ اشْتِقَاقَهَا مَعْنِيَ الْمِثَالَةِ " (1) وَفِي هَذَا النَّصُّ دَلَّةً عَلَى أَنَّ صَاحِبَ الْمُوسَوعَةِ نَظَرَ إِلَى الْمَعْنِيَ اللَّغوِيَّ لِلْكَلِمَةِ مِنْ حِيْثْ اِشْتِقَاقُهَا وَمَا تَضَمَّنَتِ مِنْ مَعَانٍ فَوَجَدَ أَنَّهَا تَتَضَمَّن مَعْنِيَ المِثَالَةِ دُونَ أَن يُضْعَ أَيْ قَيْدٍ أَخَرًّ فِي التَّعْرِيَفَ.

وَقَالَ أَبُو هَلَالُ الْعَسْرَيْنِ : "أَصِلُ المَثْلِ الْتَمَاثِلِ بَيْنَ الشَّئِيْنِ فِي الْكَلَامِ، كَقَوْلُهُمْ: " كَمَا تَدْنَى تَدْنَى "، وَهُوَ مِنْ قُوْلِكَ : هَذَا مَثْلُ الشِّيْءِ وَمَثْلُهُ، كَمَا نَقُولُ : " شَبَّهْهُ وَشَبَّهْهُ، ثُمَّ جُعِلَ كَلِ حَكْمَةٌ سَائِرَةٌ مَثَالًا " (2).

وَمِنْ خَلَلِ النَّظَرِ فِي هَذَا النَّصَّ نَلْحُظُ بَوْضُوحَ أَنَّ الْعَسْرَيْنِ قَيِدُ التَّمَاثِلِ بَيْنَ الشَّئِيْنِ فِي الْكَلَامِ دُونَ الأَفْعَالِ، فَقَدْ قَصَرَ التَّعْرِيَفُ عَلَى التَّمَاثِلِ مِنْ جَهَةٍ واحِدَةٍ فَقْطَ، وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِمَا سَاقَ مِنْ المَثْلِ، وَعَمِّمَ إِطْلَاقِ المَثْلِ عَلَى كُلِّ حَكْمَةٍ ٍسَرَتْ وَذَاعتْ بَيْنَ النَّاسِ لَنْرَى أَنَّهَا يَعْدُها مَثَالًا .

(1) مَوسَوعَةُ أَمَثَالِ الْعِربِ ١٧:١.
(2) جَمِهِرَةُ الأَمَثَالِ صِ:١١.
ويقول الراغب : "المثل : عبارة عن قول في شيء يشبه قولًا في شيء آخر ، بينهما مشابهة فين أحدهما عن الآخر وبصوره" . 1

ويزيد الراغب في قيده للمثل عمًا ورد عند غيره ، وأن المثل يعود المماثلة بين القولين ليوضح غرضا آخر هو التصوير .

ونقل السيوطي في مزهره قول الفارابي : "المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومنعه ، حتى ابتذلوا فيما بينهم ، فهاووه في السراء والضراء" .

ونقل كذلك قول المرزوقي : المثل جملة من القول ، مقضية من أصلها أو مرسلة بذاتها ، فتنتمي بالقبول وتستهر بالتدلول ، فتنتقل عما وردت فيه ، إلى كل ما يصح فصده بها من غير تغير يلحقها في لفظها ، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني ؛ فلذلك تضرب وإن جهالت أسبابها التي خرجت عليها " .

ويظهر للباحث أن الفارابي يعمد في تحديد المثل إلى اتفاق عامة الناس وخصائصهم عليه ، وربما كان في الإجماع والاتفاق على الشيء دلالة على الرضا به ، وقد زاد في وضوح التعريف إضافة المعنى إلى اللفظ . وقد نال المثل عنده منزلة حتى أصبح محط الكلام ، ومتناول اللفظ في حالات الفرح والترح .

____________________

1) المفردات ص 486.

2) المزهر في علوم اللغة: 486:1
وأما المرزوقي فقد أضاف إلى المعاني السابقة في تعريفه للمثل عنصر المشابهة دون معرفة أصول المثل، مع المحافظة على اللفظ، وحمايته من التغيير والتبديل (1).

ويقول ابن عبيد ربه في عقده: "إن الأمثال وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحقي المعاني التي تخيرتها العرب، وقدمتها الوعم، ونطقت بها في كل زمن، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، ولم يسر شيء مسيرها". (2)

ويظهر التعريف السابق مدى الاهتمام بالناحية البلاغية التي يوضحها المثل في الكلام، ومدى تأثير تلك اللفظة البلاغية في مسيره بين الناس وبقائه، ويستدله ذلك إلى أنها اختبرت من بين مثيلاتها من العبارات، وزادها فضلا أنها تقدمت على غيرها من الكلام.

ويقول اليوسفي: "المثل قول يرد أولا لسبب خاص، ثم يتعداه إلى أشباهه فيستعمل فيها شائعا دائما على وجه تشبيه بالمورد الأول". (3) وقد دار التعريف السابق على محمل الأمثال بين حادثتين مع النظر إلى السبب الذي قيل من أجله المثل.

(1) انظر المزهر في علوم اللغة 486:1.
(2) العقد الفريد 63:3.
(3) زهر الأكم 23:1.
وقد ارتضى هذه الأمثال العامة والخاصة من الناس، وتناقلوها في السراء والضرة، وشَعِرت فيما بينهم، من غير إجراء تعديل على أصل لفظها، وتتماز الأمثال عن غيرها من الأقوال والألغاز بأنها موشاة بجوهر الكلام، وجمال المعاني، وقوة التصوير، وسيرورتها بين الناس، فهي أحفظ لدارس من الشعر والخطابة، وتتماز الأمثال أيضاً بسهولة التخزين في الذاكرة لدى السامعين لما لها من القصر في جملتها المسوقة.

بين المثل والحكمة، وبين المثل والقول:

وإذا ما عرّج الناظر على الحكمة وحدها، فإنه سيلحظ بوضوح الفرق بينها وبين المثل، إذ يقول الراغب: "الحكمة إصابة الحق بالقول والفعل. فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء، وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات، وفعل الخيرات. وهذا الذي وصف به لقمان في قوله: "ولقد أتبنى لقمان الحكمة أن اشكر لله". (2)

_____________________

(1) المصدر في غريب القرآن ص 271.
(2) لقمان: 12.
ويقول عبد المجيد قطامش في الحكمة: "العبارة التجردية التي تصيب المعنى الصحيح، وتعبر عن تجربة من تجارب الحياة، أو خبرة من خبراتها، ويكون هدفها عادة الموعظة والنصيحة". (1) ويخلص قطامش بعد تحديده العلاقة بين المثل والحكمة إلى زلل من ذهب إلى أن أدب الحكمة أعم من أدب الأمثال، وأن كل مثل حكمة، وليس كل حكمة مثلا.

ويقول البوسي: "لقد انتضح الفرق بين المثل والحكمة من ثلاثة أمور: أحدها: أن الحكمة عامة في الأقوال والأفعال، والمثل خاص بالأقوال، ثانيهما: أن المثل واقع فيه التشبيه دون الحكمة، وثالثهما: أن المقصود من المثل الاحتجاج، ومن الحكمة التنبؤ والإعلام والوعظ". (2)

وإذا ما عمقنا النظر في قوله تعالى: "ولقد أتيتُكمُ الحكمة" (3) علمنا أن الحكمة إبداع كامن في الإنسان قطره الله عليها، حيث وضح المؤسرون حكمة لقمان بقولهم: "والحكمة التي آتاه الله هي الفقه والعقل والإصابة في القول، والحكمة في عرف العلماء: استكشال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة الناتئة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها". (4)

---

(1) الأمثال العربية ص18.
(2) زهير الأكم: 31:1.
(3) لقمان: 12.
وغرض الحکومة الإعلام والارشاد والوعظ والبيان، وأمال المثل فلا يقع إلا في الأقوال دون الأفعال، ومن ثم فإن غرض المثل بيان المشابهة في الواقعة، ولا تقع الحکومة لذلك، كما أن الأمثال لها غرضها الدلالي واللغوي ولا يقع ذلك في الحکومة.

وقد اختص المثل بزيادة شیوعه، أما الحکومة فلا نلحظ فيها الشیوع نفسه الذي ظهر في المثل، وربما ظهر للباحث أن الأمثال تداولتها الأنسنة كافة، أما الحکومة فلا تقع إلا على آنسنة فئة خاصة من الناس ألا وهم الحکاماء.

وعل من المفيد الإشارة إلى أن الغرض المطروح من المثل الاحتجاج به في حال المشابهة بين الواقعتين، أما الحکومة فلا تقال لغرض الاحتجاج أو ما شابه ذلك.

بين المثل والقول:

يقول الشريقي في رسالته: الأمثال في القواعد اللغوية: "برزت في البحث مشكلة التفریق بين المثل والقول كثيرًا، وذلك لأن هناك كثيرًا من الأقوال كانت مبتوطة في كتب النحو والصرف، واستشهد بها النحاة على قضايا نحوية وصرفية، من غير أن يذكروا إن كانت أمثالًا أولا، وكذلك فإن كتب الأمثال لم تذكر هذه الأقوال ضمن الأمثال التي أوردتها؛ ولذا فإن بعضًا ممن يحققون كتب النحو..."
واللغة يضعون الأمثال والأقوال في قائمة واحدة. لعدم القدرة على التمييز بين الأقوال والأمثال. فمن هذه الأقوال التي ترددت في كتب النحو كثيرًا قول العرب: "إذا بلغ الرجل الستين فإياها ويلي الشواب" فقد استدل به النحاة في إضافة (يًا). إلى الظاهر، ولكنهم لم ينصوا على أنه مثل، ولم تذكره كتب الأمثال.1

يخلص الباحث مما سبق إلى وجود طائفة من الأقوال اشتهرت وفاضت بها الأنس، واستشهد بها النحاة في مصنفاتهم اللغوية لشيوعها، وقصر عبارتها، مما كانت سببا لاختلافها بالأمثال العربية، ولكن النحاة لم يدرجوها في طائفة الأمثال عند الاستدلال بها، ولا أدرجت في كتب الأمثال الأخرى حتى يشار إليها أنها من الأمثال، مما دفع عددا من محققي كتب اللغة والنحو أن يضعوها في قائمة واحدة. ويرى الباحث أن هذه الأقوال التي اختلفت بالأمثال، إذا دقق النظر والدارس فيها النظر، توصل إلى كونها أقرب للأمثال حينًا، أو الأقوال حينًا آخر، وذلك بالنظر إلى الخصائص العامة التي تظهر في الأمثال دون الأقوال المشهورة، وإن لم يدرج العلماء الذين دونوا الأمثال هذه الأقوال في طائفة الأمثال، فلعل ذلك عائد إلى اعتقادهم أنها ليست من الأمثال.

1) الأمثال في القواعد اللغوية ص9.
وإذا ما جاوزنا النظر إلى كونها من الأمثال، فلا ضير من الاستشهاد بها في المسائل النحوية واللغوية إذا صحت روايتها وتعددت، ولم تعد هذه الأقوال ضمن القليل أو الشاذ، ونقلها من وقُع بعِرَبِيِّه، وضمن الفترة الزمنية لعصر الاحتجاج، فاللغة تعود إلى المحافظة على كلام العرب وأقوالهم المحتج بها في علم النحو واللغة، ولا تهملها، وفي ذلك مزية للعربية التي اعتمدت صحة النقل، وقوة النقل والتثبت مما ينقل من قول.

نشأة الأمثال وأنواعها:

" الإنسان قديم العهد بالأمثال، قدمه في تجربته مع بيئته أرضا ومناخًا وشعبيًا وتعاملا وصحة، ومن الصعب تأريخ ظهور الأمثال عنده. ولكننا نستطيع التأكيد أنها ظهرت بعد ظهور المجتمعات البشرية، فالأمثال كاللغة، وليدة المجتمع، أو بتعبير أدق، وليدة التجربة الإنسانية في المجتمع، والأمثال العربية وصلت إليها مع اللغة العربيّة نفسها، هذه اللغة التي تميزت خصائصها منذ العصر الجاهلي، ثم احتفظت بهذه الخصائص بفعل نزل القرآن الكريم بها، وإقبال الكتاب والشعراء العرب منذ العصر الجاهلي إلى اليوم، وفي مختلف أقطارهم على تدريج أشعارهم وخطبهم، ومقالاتهم، وأبحاثهم وأدبهم بها. "

(1) موسوعة أمثال العرب 33:1.
ولأن هذه اللغة تميزت خصائصها منذ العصر الجاهلي، وثبتت بسبب عدة عوامل فقد اهتم العرب بتدوين الأمثال.
ولأن معظم الأمثال العربية رويت غفلاً عن النسبة إلى قائل معيّن هذا ما أدى إلى صعوبة تحديد زمن نشأتها ومع هذا كله نستطيع تمييز الجاهلي عن الإسلامي عن المولد .

وبهذا يظهر أن الأمثال قديمة الوجود، وإذا رويت بعض الأمثال دون معرفة أصحابها فقد أدّى ذلك إلى صعوبة تحديد زمن المثل الذي قيل فيه، ولكن بالنظر إلى هذه الأمثال من حيث الفكرة والأسلوب نستطيع تمييز زمن نشأتها من خلال إشارات وردت فيها مثل التأثر بالقرآن مثلًا، أو الحديث، أو غлибо لغة الجاهلية وتراكيبها عليها.

و لدننا بعض النصوص الـقديمة التي تدل على أن العرب في جاهلية كانوا بدون حكمهم وأمثالهم، كما دوتنا أشعارهم، فقد روي أن عامر بن الظَّرْب العدواني، وهو حكيم جاهلي معمر مشهور، قال لملك من ملوك حمير: في حديث طويل له: ولي كنز علم، لست أعمل إلا به، تركته في الحي مـدفوـنا، وإن قومي أضنّها بي، فاكتب لــي سجلا بجيابة الطريق، فيرى قومي طـعـما

(1) انظر فقه اللغة العربية وخصائصها ص 120.
تطبيق أنفسهم به عنـٰسي ، فأستخرج كنزٍ و أرجع إليك . هذا النص إن صحَّ ، يدل على أنهم كانوا يدونون حكمهم وأمثالهم ; ذلك أننا نتصور أن هذا الكنز من العلم لم يكن إلا حكَّمـا و أمثالا مدونة فيما كانوا يدونون عليه آنـذاك من أشياء". (1)

ويظهر جلياً أن هذه اللغة الشريفة قد خصَّّت الله عزوجل بخصائص كثيرة ميزتها عن غيرها من اللغات لتكون لها حاميًا من الضياع والفقد ، ومن هــذه الخصائص علم الرواية والاحتجاج ، وإذا ما علمنا أن أوائل كتب الأمثال قد وصلت إلينا في بـُدءاـت القرن الثاني للهجرة ، علمنا أن الأمثال صاحبت تدويـن اللغة نفسها ، وهذا شاهد على حركة تدوين الأمثال منذ القدم.

وكيف لا نعتقد باهتمام العرب بتدوين أمثالهم وأقوالهم ؟ فكما وصلت إلينا روايات أشعارهم وأخبارهم ، فكذا وصلت إلينا أمثالهم بـُداعه بحكم الرواية المشتركة.

وإن كانت الأمثال حقيقة رُوـيـت دون معرفة قاتلها ، فإن الباحث لا يرى الشك في صحة هذه الأمثال من حيث ثبات نقلها ؛ لأن ما تعدد فيه الرواية وقـِع فيه إـشارة على صحة تداوله ونقله ، ولكن ذلك يدعم فكرة صعوبة معرفة الزمن الذي قيلت فيه حقيقة ، إذ خلت تلك الأمثال من أمارات تدل على زمنها.

(1) الأمثال العربية ص 39.
ونتُقَسّمُ الأمثال من حيث النظر إلى زمانها، إلى:

- أمثال جاهليّة: قُيلت في العصر الجاهلي.

- أمثال إسلامية: قُيلت في عصر الإسلام.

- أمثال مولدة: قُيلت بعد عصر الاحتجاج.

وهناك معامير تعرف بها هذه الأمثال، فمن معامير الأمثال الجاهليّة:

١- نسبتُها إلى أناس جاهليين، كقُلَّما بن عاد، الذي يُنسب إليه المثل: رُبّ أُخّ لك لم تلده أمك.

٢- نص العلماء على جاهليّة هذه الأمثال، أُنسبة إلى قبائل جاهلية، فمن الأمثال التي نسبت إلى قبيلة عاد، مثل: أَلْحَنُ مِن الْجَرَادَتِين، ومن الأمثال التي نسبت إلى قبيلة طَسْم، شُرّ يومها وأَغْواهُ لِهَا، وِمَا النَّامِلُ الْمَثَّ الَّتِي نَسُبَت إلى قبيلة قَبِيلَةٌ.

٣- الحوادث التي قيلت بها الأمثال وخاصة الأمثال التي قيلت في حرب داحس والغيرة، نحو: نَشَأَم مِن داحس، وحرب البسوس، نحو: نَشَأَم من البسوس، ويوم حليمة، وحديث الأبرش والزباء. (١)

١) انظر موسوعة أمثال العرب ص: ٣٣١ وما بعدها.
أَمَا الأَمُاثَلِ الإِسْلَامِيَّةِ ، فَمَنَّهَا مَا كَانَ الْقُرآنَ الْكَرِيمَ السُّبَبُ فِي اسْتَحْداثِهِ ،
مَثْلُ: أَنْبُهُ مِنْ أَبِي لِهْبٍ ، وَمِنْهَا مَا كَانَ أَصْلَهُ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ ، مَثْلُ: إِنَّ مِن
البِيَانِ لسَحْرًا ، وَمِنْهَا مَا كَانَ مِنْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ ، كَقُولُ أَبِي بِكَرِ الصَّدِيقِ:
لا طَمَّةٌ إِلَّا عَفْوَةٌ طَامِةٌ. (1)

"أَمَا الأَمُاثَلِ المُولَّدَةِ، فَالْمَقْصُودُ بِهَا تَلَكَ النَّيَّ قِيلُتُ بَعْدَ عَشْرِ الْأَحْتَجَاجِ ،
وَهُوَ الْعَشْرُ الَّذِي يَمْتَدُّ مِنْ الْجَاهِلِيَّةِ الأَوْلِيَّةِ حَتَّى مُنْتَصِفِ الْقُرآنِ الثَّانِي الْهِجْرِيّ
بِالنَّسْبَةِ إِلَى عَرْبِ الْحَوَاضِرِ، وَإِلَى نَهَانِي الْقُرآنِ الْرَّابِعِ الْهِجْرِيّ بِالنَّسْبَةِ إِلَى عَرْبِ
الَّبَوْاتِي. وَلَعْلَ أَوْلُ مِنْهُ اسْتُمِيزَ الأَمُاثَلِ المُولَّدَةِ مِنْ غِيرَهَا حَمْزَةُ الْأَصْفِهَانِي
فِي كِتَابِهِ: "الْدِّرَةِ الْفَاخِرَةِ" إِذْ نَبِى عَلَى تُولِيدٍ بَعْضِ الأَمُاثَلِ، كَمَا خَصْصَ بَابًا
كَامِلًا مِنْ كِتَابِهِ لِذَكْرِ الأَمُاثَلِ المُولَّدَةِ المُزْدُوجَةِ الَّتِي عَلَى وُزْنِ: "أَفْعَلَ". (2)

وَأَمَا الأَمُاثَلِ المُولَّدَةِ فَقُدْ لَقِيتُ مِنْهُ يُعْرَفُ بِهَا وَيُصْدِّى لِلْإِشْعَالِ إِلَيْهَا ، وَقَدْ عَنْي
طَائِفَةٌ مِنْ المَصْنَفِينَ بِبِيَانِهَا وَدَرَاسَتِهَا، وَمِنْ الْدِّرَاسَاتِ الَّتِي اسْتَنْتَ بِالأَمُاثَالِ
المُولَّدَةِ، كِتَابُ الأَمُاثَلِ المُولَّدَةِ وَأَثَرَهَا فِي الْحَيَاةِ الْأَدْبِيَّةِ فِي الْعَشْرِ الْعَبَاسِيّ

(1) انظر موسوعة أمثال العرب ص 35 وما بعدها.
(2) موسوعة أمثال العرب ص 41.
حتى نهاية القرن الرابع الهجري لفيصل مفتاح الحداد، ولا ننسى أن كتب الأمثال التشريمية مثل كتاب الميداني وغيره من الأمثال الفصيحة من المولدة، وقد عمّد الميداني إلى إفراد باب مستقل لها بعنوان: المولدون، ملحق بكل حرف من حروف الأمثال.

ويمكن تقسيم الأمثال إلى أمثال قديمة، وأمثال مولدة. ويقصد بالأمثال القديمة: التي قيلت في عصر الاحتجاج اللغوي. والأمثال المولدة: تلك الأمثال الجديدة.

التي جرت على ألسنة من لايجتن بعريته، مع بداية العصر العباسي الأول.

ومن خلال ما نقدم يظهر أن النظر للأمثال وقع من حيث النظر إلى صحة الاحتجاج بها من عدمه، فالقيد في ذلك يعود إلى العصر الذي قيلت فيه، وقد عني العلماء قديماً بهذه المسألة وقيدوها بالضوابط التي تمنع دخول غيرها فيها.

ويظهر أن النظر إلى مسألة الاحتجاج والأخذ به، أمر مهم في تقيد الشواهد النحوية، وأصل من أصول النحو العربي، وفي ذلك تميز لهذه اللغة عن مثيلاتها، حيث إنها تعنى بحفظ أصولها وشواهدها، وكيف لايفع ذلك لها وهي لغة القرآن الكريم، وقد تهدى الله تعالى بالحفاظ عليها، فهي بقية أبد الدهر.
ويمكن تقسيم الأمثال العربية القديمة والمولدة - من حيث موضوعها - إلى:

1. "المثل الموجز" وهو القول السائر الموجز الذي يشتمل على معنى صائب ، وتشبه حالة ضرره بالحالة الأولى التي قيل فيها وورد عليها.

2. المثل القياسي : وهو ذلك السرد الوصفي أو القصصي الذي يستهدف توضيح فكرة ما ، أو البرهنة عليها عن طريق التشبيه أو التمثيل الذي يقوم على المقارنة والقياس.

3. المثل الخرافي : وهو تلك الكلمات الموجزة السائرة التي أجراها العرب على أسنة الحيوانات ، أو بذوها على قصص خرافي نسجته حوله ".

ويظهر من خلال التقسيم السابق أن المثل الموجز ينحو إلى التركيز على صواب المعنى ، والغرض المسوق منه التشبيه ، علمًا بأن هذا الغرض المضروب عام في سائر الأمثال العربية ، لأننا نعلم أن الغرض الرئيسي المسوق من الأمثال ، هو التشبيه .

وأما المثل القياسي فالمورد الأساسي منه القياس والمقارنة بين الحادثتين ، أو الأمرين المشابهين .

وأما المثل الخرافي فمنبه على القصة الخرافية ، أو التي نسجت من الخيال ، وهو في ذلك أشبه بالحكايات التي لا أصل لها .

(1) الأمثال العربية ص 30.
وأيًا كان الأمر فإن الباحث يرى أن المثل الموجز، والمثل القياسي، قد اعتمدا على البناء المشترک من حيث النظر إلى ورودهما، وإن كان الفرق يظهر في أن المثل الموجز هو المبني على الرواية دون أن تحاكي قصة للمثل، أما المثل القياسي فقد صاحب المثل السرد القصصي، والسرد الوصفي له.

أغراض الأمثال وأهميتها وخصائصها الفنيّة: 

لا يخفى أن أغراض الأمثال عديدة وهي لا تأتي اعتباطا في الكلام، بل لها دورها ووظيفتها وغرضها الذي ترمي إليه، من بيان التشبيه والتمثيل بين الحالة الواقعة والمثال الذي ضرب فيها.

وتصيب الأمثال مراميها إذا وافقت الحالة المضروبة تمام الموافقة، وأحسن القائل اختيار المثل الملائم للموقف الذي هو بصدده.

فمن أغراضها تمثيل المعقولات وتصويرها بصورة حسية، لكى تظهر قريبة للعقل، ظاهرة للعين، كقوله تعالى: "مثل الذين حملوا النّورة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا بنّس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لنا يهدي القوم الظالمين". (1)

(1) الجمعه : 5.
وفي هذا الشهد القرآن الكريم الغفارة الواضحة من مقصود الكلام، فقد شبه الله تعالى حال اليهود الذين تركوا العمل بالشريعة وما أثروا به، بصورة الحمار الذي حمل الأسفار على ظهره وهو لا يعرف ما فيها، ولا يدرى أشر على ظهره أم أسفار علم وحكمة وتشريع، وبهذا عرض الله تعالى الصورة العقلية وحولها إلى صورة تشبيهة بيئة؛ لكي تبدو أكثر وضوحًا للعقل والعين.

والآمثل في أصلها وضعت لدلالة المشابهة بين حادثتين، أو مواقفين، وتجدر الإشارة إلى أن الأمثال تغني الموقف الذي توجد فيه لأخذ العظة والعبرة والإعلام والإرشاد، فهي من هذا المضمار تحول الصورة العقلية إلى صورة حسية لتغني الموقف الذي قيلت فيه.

وفي هذا فائدة عظيمة لأن المعقولات الذهنية إذا صورت على صورة حقيقية كانت أثبت للذهن في فهمها، وأرسم للحفظ من غيرها، لأنها أقررتت بما طابق الكلام والموقف، فلم تعود ثورية اللحظة فقط، وإنما استعادت ملائاتها لتصبها في ذات القالب الحادث وتدعم الموقف الذي وجدت فيه وتقويه.
" ومن هذه الأعراض التعرض الذي يعده عبد القاهر أوقع في النفس من التصريح، إذ يصل المرء لمراده دون أن يخشي مغبّة قوله، وهـذا يحدث في النفس راحة كبرى， إذ يلقى عن كاهله هذا العبء النقيل الذي يحمله في نفسه دون التصريح به جهارا．

ومن ذلك الاحتجاج، لأن المثل مسلّم بصحته مقبول عند جميع الناس، ولهذا فإن فيه مادة غنية لأصحاب المناظرة والجدل، وهـم يستخدمونه فيقـوّي مـن حجتهم، وبوهن من حجج خصومهم． ومن ذلك تقديم الخبرات العلمية والعملية بصورة موجزة جدا تغني عن سرد طويل． ومن ذلك أداؤه البـضـلاعـي، ووظيفته الجمالية في الكلام． (1)

ووهذا النص يشير إلى أن من أعراض الأمثال التعرض دون التصريح؛ لأن التعرض في الكلام ربما كان أولى من التصريح في بعض المواقف؛ ولأن التصريح في الكلام لا يستطيع الإنسان في بعض الحديث خوفًا أواحترامًا لمكانة السامع، فـيتعاض عنه بالتمريض．

وربما صاحب التعرض القصة الوصفيّة، وذلك أبلغ في توضيح المـوقف، والاستغناء عن التصريح، ومعلوم أن النفس البشرية لا تميل بطعهما إلى قبول النصح المباشر، وإنّما تميل إلى قبول النصح والإرشاد في قابل جدّاً.

(1) الأمثال المولدة وأثرها في الحياة الأدبية في العصر العباسي ص 38.
ومن أغراضها الاحتجاج بما يريده القاتل أمام الناس، ليوضح كلامه ويزيده قوة بالاستشهاد، وذلك ماتعرف عليه الناس في المواقيف المتباينة من ضرب المثال للاحتجاج، وفيه عرض للخبرة العلمية بطرقية يسيرة تغني عن السرد الطويل من خلال تأمل الكلام وفهم مراده، فمن فهم قصد الكلام وصل إلى خبرة غيره دون أن يعرف نفسه للتجربة، وفي تجارب الآخرين خير مثال على ذلك.
ومن أغراض الأمثال قصر الحديث عوضًا عن السرد المفصل في الكلام، لأنه يؤدي المعنى من خلال العبارة الموجزة، ويوصل الفهم للسامع بأقل عدد من الكلمات المفتوحة، وفي هذا إشارة إلى بلاغة القائل المستخدم للأمثال، حيث أدى ما أراد من الكلام بأقل العبارات الموجزة، عوضًا عمًا فيه من حسن الصياغة، وجمال الأسلوب، ووضوح التشبيه، ومما يعلم عند الناس عامة أن جمال الأسلوب يبعث في النفس الراحة والدعة، ولا يخفى ما لجأ إلى الألفاظ وحسن صياغتها من إشارة التشويق للسرد، وشد الانتباه إلى مرامى الكلام، ومفاده.
وعند الحديث عن أهمية الأمثال يطالعنا قول ابن المقفع: "إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق، وأبقى للسمع، وأوعز لشعوب الحديث".  

(1) مجمع الأمثال 6:1.
ويظهر هذا النص أهمية الأمثال في توضيح الكلام وقبوله، فكلما كان الكلام واضح المنطق بين العبارة كان أقرب للعقل من غيره، ويضيف ابن المقفع في قوله إنه يقع من الأدنى موقع الموسيقى في القبول والراحة، ويسري في النفس بجمال النغم وجرسه، ويزيد الحديث تشعبا وتدخلا.

ويقول المأريدي: "ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسوله، وأوضح بها الحجة على خلقه، لأنها في العقول مقولة، ففي القلوب مقولة". (1)

ويظهر بوضوح أن القرآن الكريم استعمل الأمثال؛ لتكون الدالة مع رسله عليهم السلام في توضيح عوائد الكفر والشرك ونتاجه، أو توضيح عواقب الخير والإيمان، وقد أوضح بها الله تعالى الحجة على الناس والخلق.

ويقول العسكري: "والإمثال نوع من العلم منفرد بنفسه، لا يقهر على التصرف فيه إلا من أتته في طلبه حتى أحكمه، وبالغ في النماسه حتى أتفهه.

وقد علم أن كل من لم يعن بها من الأدباء عناية تبلغه أقصى غاياتها، وأبعد نهاياتها، كان منقوص الأدب، غير تام الآلة فيه، ولا متوفر الحظ منه". (2)

________________________________________
(1) أدب الدين والدنيا ص 259.
(2) جمهرة الأمثال 10:1.
ويبرز هذا النص أهمية الأمثال، فقد عدّ العسكري الأمثال من أنواع العلم المنفردة برأسها، ولا يستطيعه إلا من اجتهاد في طله، وبلغ فيه الغاية من الطلب حتى أحكمه، وغالب في التماس طيباته وتلمسه حتى أتنفس. وذلك لما فيه من الفنون المصاحبة من القصص، والأنباء، والروايات، وعلوم اللغة، ومسائل النحو والصرف، وشواهد الفرداد، وقد وضح لنا العسكري أن من لم يعني بفن الأمثال كان منقوص الأدب غير تام الآلة فيه، ولا متوفر الحظ من علم الأدب.

ولكن كان الشعر ديوان العرب وحجتهم اللغوية في المسائل النحوية، ومصدر الاستشهاد اللغوي لهم. فإن الأمثال هي الصورة الواضحة لحضارات الشعوب المتباينة، وأناطح الحياة المختلفة، فقد حملت الأمثال في أخبارها وسائل المعيشة التي كانت تسود عند الشعوب.

ويظهر أن أهمية الأمثال تظهر في معالجة القضايا المجتمعية التي يتصورها شعب ما، وتعكس أنماطًا من ضروب التفكير الحضاري للشعب، والسلوك الذي يعبر به أفراد الشعب عن أنماط الحياة الفكريّة المختلفة.

ولأن الأمثال العربية القديمة عمومًا، والشعبيّة منها خاصوشًا تعكس ضروب التفكير لدى العامّة، ويعبر بها الناس عن الشقاء والبهوس، وعـن الفرح والترح، وغير ذلك من السلوك الذي يسود بينهم في الحياة، وتُسجل
الجانب التراثي للشعب، فكما يعلم أن الأمثال من جوانب التراث الشعبي المهمة، وتعكس الأمثال الشعبية أيضًا صلة واضحة الأمية بناصرها، ومدى اتصالها بالعجائب الأخرى.

ويرى الباحث أيضًا أن الأمثال تحتل جزءًا من التراث العربي الذي يفخر به، فقد تناقلها العرب مشافهة من العصر الجاهلي حتى الآن، وثبتها في مدوناتهم، ودارت بين كتبهم شرحًا، وتفصيلا، وتدوينًا، وقد اعتنوا بها باللغة العرية حتى ثبتت لها مصنفات خاصة، وفي ذلك إشارة إلى بالغ الاهتمام الذي نبع في المحافظة على هذا الجزء من التراث، وقد أودع الله تعالى في كتابه العزيز من الآيات ما يشير إلى أهمية الأمثال في تصوير المعقولات، والمحسوسات للناس، من ذلك قوله: "يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا لبُنَّٰهُ"1.

إن الدين تدَّعُون من دون الله لن يخلقو ذبابًا ونَّوَّ اجتمعوا له.2

وأما ورد في القرآن الكريم أيضًا قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَّبَ اللَّهُ مَثَالًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصَلَّهَا ثَابِتًا وفَرَعَهَا فِي السَّمَاءِ، تَوْتَيْ أَكْلُها كِلَّ حَيٍّ بَيْنَ مَرَّةِ وَيُضْرِبُ اللَّهُ الأَمَالِ لِلنَّاسِ لَتُذَكَّرُونَ، وَمَثْلُ كَلِمَةِ خَيْبَتَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْبِيَّةٍ اجْتُنِبُوهَا مَنْ فَوقَ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ".3

(1) الحج: 73.
(2) إبراهيم : 24-26.
ويظهر من خلال النظر في سياق فصلة الآية "وَيَصْرَبُ اللَّهُ الْأَمَالِ لِلنَّاسِ لِعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" ولحاقها أن الله تعالى بِيْن أهمية المثل المضروب، فقد سبق الآية بتصوير الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة الفرع والأكل، ثابتة ثابتة الحق، وهي كلمة الحق كلمة الإسلام، وقدّم المثل الحسن على السيء، لأن الحق يعلو الباطل دائماً.

وأما لحاق الآية فقدي ذكر فيه مثل كلمة السوؤل والشرك والباطل، فهي خبيثة، من تعلق بها لا يجد في يده إلا قيّمٌ لِلريح، وفي هذا دلالة على أهمية تأمل المثل لأخذ العظمة والعبرة منه؛ لأن القرآن الكريم استعمله في ضرب من ضرب الضربان؛ ليكون الشاهد على تمثيل الحدث بما شابهه، وفيه إشارة إلى بلوغ المرام بنوع من التصوير الذي يقرب للعقل ليكون أبلغ في الوضوح.

ويقول السيوطي في المزهر: "قال أبو عبيد: الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعاوض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطقة بكتابة غير تصريح، فيتجمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وقد ضربها عليه المثل، وتمثّل بها هو ومن.. بعده من السلف (1)

(1) المزهر ص 178.
ويجدر عند الحديث على أهمية الأمثال ألا ننسى الدور الذي تؤديه في البلاغة والقصص، فهي آلة من آلات البيان، وكما أشار العسكري في مقدمة كتابه جمهرة الأمثال، حين تحدث عن خصائصها، وبينان فوائدها، وأن من لم يُعَن بالأمثال من الأدباء، فهو غير تام الآلة في الأدب، ومنقوص الحظ فيه.

والأمثال من مجالات التراث الشعبي، وفند من فنونه، ولكل شعب - كما لكل الشعوب والجماعات المستقرة - تراثه الثقافي، وميزته الفكرية، ومعتقداته الخاصة، وتقاليده المتراكمة عبر الأجيال، وقد توارثها الخليف عن السلف مشافهة، ومنها الأمثال التي كان لها بالغ أهمية في الاطلاع على حضارات الشعوب والأمم السابقة، فهي تصور العادات والتقاليد التي نشأت في ظلها هذه الأمثال في المناسبات المتعددة، فهي خلاصة لتجارب الآخرين، ومحور أفكارهم. فهي تقوم بدور مهم في توجيه الأمة، وتصوير أنماط حياتها وسلوكها.

والأمثال تتعلق بصوحيّة بالغة عن فرح الناس وشفاتهم، وعن فقرهم وبوسهم، وعن قوتهم وضعفهم.

كما تكشف الأمثال عن مدى عمق الاتصال النفسي والتأثير الجسي بين الأباء والأجداد.
ونظرا إلى هذه الأهمية البالغة للأمثال، فكان من الواجب الاهتمام بها تصنيفًا وشرحًا وتأصيلًا وبيانًا. ولذا نرى وفيرة الكتب التي ألفت بها، وما حوت هذه المصنفات والأسفار من فرائد الكلام وجوهره.
والأمثال في الأدب العربي استعملت قديمًا وحديثًا، وقد اهتم بها الدارسون أبلغ الاهتمام لما لها من ضرورة في الاستشهاد اللغوي؛ لأنها تدور في المصنفات اللغوية وال نحوية، فلا يخلو منها كتاب نحو أو أدب، وفي ذلك دلالة واضحة على سيرورتها بين تلك الكتب؛ لما فيها من الثروة اللغوية المفيدة.
وتختص الأمثال العربية بخصائص فنية كثيرة، وسمات أسلوبية جمة، ولكن سيسط الضوء على بعض منها لأهميتها واستفاضتها، ومن ذلك:
1- بلاغتها: اتفق العلماء على بلاغة الأمثال العربية، فلا نكد نجد مثلا يخلو من صورة فنية، أو استعارة أو أسلوب بديعي معنوي أو غير ذلك، فالصورة في الحقيقة تقرب الواقع غير المشاهد إلى الصورة الحسية المشاهدة، وفي هذا إشارة إلى وضوح المعاني، مما يمثل إبداعًا في استعمال التراكيب والمعاني، وفيه يخرج الكلام على أجمل صورة واضحة مفهومة.
2- إيجازها في اللفظ: وهذه السمة من أشمل سمات الأمثال العربية، إذ يظهر في الأمثال العربية المعاني الكثيرة التي أوجزت تحت كلمات بسيطة، وقد حولت هذه الكلمات القصص والأخبار التاريخية، والحوادث التي تضمنها المثل، واندرج في طباهها، ولذا كانت العبارة في عمق المعاني ودقتها مستغنين عن النظر في عدد الكلمات.

3- تضمن الأساليب البديعية المختلفة مثل الطباق، والمقابلة، والسجع، وغير ذلك، وكذا الأساليب الديانية كالتشبيه والاستعارة والكتابة والمجاز، والأساليب اللغوية كالأمر والنفي والاستفهام والشرط وغير ذلك.

كتب الأمثال وقيمتها في التراث العربي:

يقول ابن عبد ربه: "إن الأمثال وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني، التي تخبرتها العرب، وقدمتها العجم، ونُطق بها في كل زمن ومكان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرًا." (1)

(1) العقد الفريد 63:3.
ويقول العسكري: "لما عرفت العرب أن الأمثال تصرف في أكثر وجدوا الكلام، وتدخل في جل أسباب القول، أخرجوها في أقوارها من الألفاظ، ليخفف استعمالها، ويسهل تداولها، فهي أجل الكلام وأنبه، وأشرفه وأفضله، لقلة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلم، مع كبير عنايتها، وجسم عائدها". (1)

يظهر من هذه النصوص أن كتب الأمثال غنية بجواهر الألفاظ، وقد انتقتها العرب من أفضل كلامهم واعتدوا بها، وهي باقية في كل زمان ومكان تسري بين الناس لسهولة حفظها، وقرضاها، وبلاغتها.

والأمثال وإن كانت قليلة الألفاظ لكنها غنية بالمعنى، وما يسجل لها أنها حفظت لنا جزءا من التراث العربي، عدا عن أهميتها في الشاهد النحوي؛ وبهذا تعد كتب الأمثال دالة على الناحية البلاغية، والناحية الدلالية، والناحية الصرفية. ويدو من خلال هذه الأقوال أن الأمثال وكتبها كانت تعني بالألفاظ الدقيقة النفيّة، ويزين بها الكلام وشاعت في كل زمان ومكان، فأفضت عليه من الناحية الفنّيّة الكثير من الجمال في اللفظ والعبارة، إضافة إلى ما في هذه الكتب

(1) جمهرة الأمثال: 10:1.
من الشروح التي دُعِمت بالشعر تارة، وبغصن النحو والإعراب تارة أخرى،
إضافة إلى القصص والأخبار التي وردت في شروح هذه الأمثال ممَّا هو مدرج
في بطون هذه الكتب لتظاهر لنا قيمة هذه الكتب، التي حوت الشعر وال долг
وال نحو والبلاغة.

وقد قام كثير من أعلام العلماء العرب بتدوين كتب الأمثال، وفي هذا دلالة على
أهمية هذه الكتب، ولذا وصل إلينا العديد من المؤلفات في الأمثال العربية,
فكتبت محور اهتمام العلماء، وموظن كلامهم وتعليقاتهم؛ لما تتمتع به من
خصائص وفرائد لم يحظ بها غيرها من الكتب.

وقد نهضت في العصر الحديث كوكبة من الدارسين يبحثون في الأمثال,
يصنفون ويتقوقع لإغناء مكتبة التراث العربي، ومنهم زكى مبارك في تحقيقه
كتاب :"الأمثال" لأبي الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي، وعبد المجيد عابدين,
وإحسان عباس في تحقيقهما كتاب : "فصل المقال في شرح كتاب الأمثال" لأبي
عبد البكري، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطاش في تحقيقهما
كتاب :"جمهرة الأمثال" للعسوري، وغيرهم الكثير. (1)

(1) انظر مقدمة مجمع الأمثال (طبعة جان توما) 5:1.
ومن الذين عَنوا بالأمثال في العصر الحديث إبِيل يعقوب، حيث تعد الموسوعة التي قام بإعدادها خير مثال لِتلك العناية؛ لأنها أُفرّغت من كَتب الأمثال الكثيرة، ولايخفي على الناظر الجهد المبذول في هذه الموسوعة، التي أُضحت مرجعًا مهما من مراجع البحث عند دراسة الأمثال.

وقد ظهرت كَتب الأمثال المتخصصة مثل أمثال الحديث النبوي الشريف، والكتب التي تتحدث عن الأمثال الشعبيَة في كل بلد، حيث نقلت إليها عادات البلاد التي تنتشر فيها هذه الأمثال وتقالدها.

كتاب الأمثال التي سبقت الميداني:

إن كَتب الأمثال التي سبقت كتاب الميداني كثيرة، وسَنذكر الباحث بعضاً مِن هذه الكتب مع الإشارة الوجيزة لكل كتاب:

1- كتاب الأمثال لِصيدان بن عَيَّان العبدي، (ت 40 هـ).

2- كتاب الأمثال لأبي عمرو بن العلاء، (ت 154 هـ)، كان يتناول الأمثال من جميع نواحيها، فيذكر أصولها ويفسر غريبها، ويوبرد الشواهد الشعرية على الغريب.

3- كتاب الأمثال للشَّرقي بن القطامي، (ت 158 هـ)، والنصوص التي نقلتها عنه كَتب الأمثال تدور كلها حول أصول الأمثال وأسبابها، من الأخبار والقصص والآسفين التي ترجع إلى العصر الجاهلي.
4- كتاب أمثال العرب للمفضل بن محمد القضبي، (ت 168 هـ)، والكتاب صغير الحجم إذا قيس بما ظهر بعده من كتب الأمثال، إذ يشمل على مئة وسبعين مثلا فقط، منها ثمانية على وزن أفعل.

وأهم الملاحظات على كتابه أنه مفعوم بالوقائع والأحداث الجاهلية التي تدور حول سادة القبائل والشعراء وشيوخها وشعرائها، والتي يصل بعضها بأيام العرب في الجاهلية. (1)

5- كتاب الأمثال ليونس بن حبيب القضبى، (ت 183 هـ)، يغلب على هذا الكتاب في تناوله للأمثال الاتجاه اللغوي الذي يتمثل في تفسير الغريب، وإيراد الشواهد الشعرية عليه، كما أنه لا يغفل ذكر موارد الأمثال وأصولها ومضاربها.

وقد بدأ كتابا وافيا تناول الأمثال من جميع جوانبها. (2)

6- كتاب الأمثال لأبي فيدي مورج بن عمرو السدوسى (ت 195 هـ)، يفسر فيه المؤرخ بعض أبيات الشعر والتعبيرات اللغوية، وهو دقيق النقل عن الرواة الذين أخذ عنهم.

(1) انظر الأمثال العربية، دراسة تاريخية تحليلية، ص 46 وما بعدها.

(2) انظر المراجع السابق ص 53.
7- كتاب الأمثال لأبي عبيد (ت: 224هـ)، بدأ أبو عبيد كتابه بتعريف المثل، وذكر المواضيع التي يتكلم بها فيها، وتضرب عندها، وأسندها إلى علمائها، واستشهد بنوادر الشعر، أو بما أمكن منها، وأحيانا يشرح أبو عبيد أصل المثل، ومورده الذي أخذ عنه، كأن يقول مثلاً: إن هذا المثل أو ذلك مأخوذ من بيت شعر، أو ميدان حرفة من الحرف، وما أشبه ذلك. وفي بعض الأمثال يحدد استعمال المثل مرة أخرى بعبارة: "يضرب لكذا وكذا"، مع أن الأمثال كلها مصنفة عموماً في الأبواب المختلفة، وإذا تكرر بعض الأمثال، أو احتاج الأمر إلى الحديث عنها مرة أخرى، أشار أبو عبيد إلى الباب الذي سبق أن ذكرت فيه.

أما الأبيات المنتشرة هنا وهناك وإن لم تكن كثيرة، ومعظمها غير منسوب إلى قائله فإنها شواهد على معاني الكلمات، أو تساق لبيان ورود معنى المثل في صورة شعرية، وبيت الشعر بالمعنى الأخير يسمى عادة: "البيت السائر"، وكان أبو عبيد مقتصراً على سرد الحكايات.

8- كتاب الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر، للحمزة بن الحسن الأصفهاني (ت 360)، طبع الكتاب باسم الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، وأورده الزركلي في الأعلام باسم "الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر"، وقد نقل عنه

---
(1) انظر الأمثال العربية القديمة ص 80 وما بعدها.
الميداني في مجمع الأمثال، والعسكري في جمهرة الأمثال. (1) و هذه الكتب مجموعة من الأمثال التي جاءت على أفعال التفضيل. طبعت بتحقيق الدكتور عبدالكريم قطاش في دار المعارف بمصر سنة 1976.

9- جمهرة الأمثال للعسكري (ت 393هـ) ، يتألف كتاب العسكري من (29) بابا تحتوي على ما يقارب (3000) مثال. منها حوالي (800) على وزن أفعال، وقد رتب فيه الأمثال ترتيباً أبجدياً بحسب الحرف الأول، وشرحه للأمثال شرح موجز، وقد استفي العسكري مادته في الأمور الأساسية، من كتب الأمثال التي كانت موجودة، وإن لم يسمّها في كتابه باسمها، ولاشك أن العسكري يسير على عادة عصره، حين لايشير إلى مصادره المكتوبة، بل يذكر شيوخه الذين قرأ عليهم كتب الأمثال. (2)

10- المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (ت 538)، رتب فيه الأمثال على ترتيب حروف المعجم، وقدّعني بشرحها بإبراد قصصها، وكان يذكر النكت والروايات فيها، ويكشف عن معانيها وينبه على أصولها، ولتقط أبيات الشواهد لها، ويتحرى الاختصار ويجرد الألفاظ عن الفضائل التي يُستغنى عنها في حِلِّ اللّغة على وجه المعنى.

(1) الأعلام 2:277.
(2) انظر الأمثال العربية القديمة ص 115 وما بعدها.
11-أفرد يوسف بن طاهر الخويتي (849 هـ) كتابا في الأمثال العربية وسمه بـ "الآيات الأولى"، وقد جاء الكتاب في ثلاثين بابا، خص تسعة وعشرين بابا للحروف، بدأ بالهجة بعد المقدمة، ثم سار على ترتيب الحروف حتى وصل إلى الباب الثالث والعشرين في باب اللام، ليفصل عندها الأمثال الميدوهة بـ (لا) ويجعل لها عناوين وبابا مستقلا هو الباب الرابع والعشرون فيما أوله لا، ثم يكمل باقي الحروف، فتبسيق اللوا في الباب السابع والعشرين، والعشرين الهاة التي وردت تاليها لها في الباب الثامن والعشرين، وينتهي بباباء، ثم يفرد الباب الثلاثين للحكم والمواضع الواردة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وآثمة الفقه والزهد والعلماء.

وهو بهذا المنهج تفرد طريقة وأسلوبا ومادة، وتميز من كتب الأمثال الأخرى، وإذا قلنا إن مجموع الأمثال هو أوجس كتب الأمثال في المادة المثلية، فإن فرائد الخويتي إذا ما أضافنا إليه الحكم والأشعار السائرة والمواضع، يصبح أوجس هذه الكتب على الإطلاق.

وإذا كان الخويتي قد أراد كتابة لا إكثار فيه فاصل، ولا إيجاز فيه فيخل، مقصورا على المقصود المهم والغرض العلم، فإنه قد استوعب من الأمثال الأصلية غير المولدة ما مجموعه ألف وسبع مئة وعشرون مثلا، ولو أفردنا تلك
الأمثال الواردة في غرض واحد التي كان الخوبي يفضل جمعها في رأس مثل واحد لزائد العدد ، مثال ذلك ما ورد في ما جاء على أفعل ، في حرف القاف في الباب الواحد والعشرين في المثل رقم 1196 : أبقى أثراً من الحدثان ، ومن قول بلا فعل ، ومن من على نيزك ، ومن تهي بلا فضلك ، ومن زوال نعمة ، ومن غول ومن خنزير ، ومن قرد . أما قضية الاختصار ، فلم يقل بها صاحب الكتاب وإن أبان في ما ذكرناه من ثاناه على أستاذه ، أنه يريد كتابا في الأمثال يستبعد منه الحشو والتطوير والمجهول والغريب .

12- أعد السيد الشيخ إبراهيم الأحذب (1891م) كتاباً نسماه باسم فرائد اللال في مجمع الأمثال ، ونحا فيه منحي القدماء في التعليم ، وذلك بتقييد هذا العلم بالشعر ؛ لأن لغة الشعر تفوق لغة النثر في الحفظ ، إذ نظم كتاب مجمع الأمثال شعرًا ، حيث بدأ بعقد مقدمة في معنى المثل وما قبله في الأمثال ، ومن ثم بدأ بنظم الأمثال الواردة في كتاب الميداني شعرًا ، نحو ، قوله :

"بنظمه للسحّر عمرو حليلاً
وإن من بيانه سحراً حلاً"  

وذلك في لفظ المثل : إن من البيان لسحراً ، وهو المثل الأول الذي يطالعنا في كتاب مجمع الأمثال . ثم انتقل إلى نظام جميع الأمثال الفصيحة ، وبعد ذلك انتقل إلى ما ورد على باب أفعل ، ثم انتقل إلى أمثال المولدرين .

(1) انظر مقدمة فرائد الخرائدة ص 4 وابقائها.
وخص الباب التاسع والعشرين من كتابه بأسماء أيام العرب، ثم ذكر أيام الإسلام. ونظم في الباب الثلاثين، ما شمله مجمع الأمثال من نبذ من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين من كلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وكلام الصحابة نحو كلام ابن عباس وابن سعود والمغيرة بن شعبة وأبي الدرداء وأبي ذر، ونبد من كلام التابعين نحو كلام عمر بن عبد العزيز، والحسن البصري، وكان تارة يمهد للبيت المنظوم ببيت بسيقه.

ثم ختم مؤلِّفه بأبيات شعرية يثبت فيها انتهاءه من الكتاب وإعداده، وأثبت في خاتمته الثناء على الميداني، وأنه أبدع وأجاد في الغزائ لأصحاب اللباب والحجا، وأظهر عقد الحق للذوق والآداب.

ويظهر من خلال الكتب السابقة أنها تناولت جوانب مختلفة من الأدب وال نحو بين طياتها، فقد كانت تشتمل على الوقائع والأحداث التاريخية التي وقعت أيام العرب، وسجلت أيضا أسماء سادة القبائل العربية والشعراء، وهذا يُظهر لنا القيم التاريخية لهذه الكتب، والثروة التي تضمنتها، حيث وضحت الجانب الاجتماعي الذي كان يسود حياة العرب، ومنها ما كان يعنى
بالاتجاه النحوي للغة، حيث تضمنت الكثير من الشواهد النحوية، إضافة إلى

هذا يمكن الإشارة إلى الأشعار التي حوّتها كتب الأمثال.

إن هذه الكتب والشرحات يظهر فيها عظم المادة العلمية الكامنة فيها حيث قام شراح الأمثال بالتفصيل والإيضاح والبيان، ومما يجدر الإشارة إليه الدقة المتناهية التي ظهرت عند أصحاب كتب الأمثال عند النقل والتوثيق.

وعند النظر إلى الكتب التي عنيت بمجمع الأمثال، نرى الجهد المبذول في عمل النحوي، الذي يتمثل في وضع كتاب يركز على الأمثال المهمة المتناولة والسائرة، لا تلك الأمثال العويضة الغريبة الشاردة.

ومن الكتب التي عُنيت بمجمع الأمثال أيضا كتاب فرائد اللآل في مجمع الأمثال فقد تمثل عمل الشيخ إبراهيم الأحذب بنظام مجمع الأمثال على لغة الشعر، أي إنه قام بتحويل كتاب مجمع الأمثال من لغة النثر إلى لغة الشعر، حيث يعد تقميد العلوم الأدبية بالشعر من أبرز الأبواب لحفظها، وسهولة تلقينها للمتعلم، ولا تخفى الشواهد العديدة على ذلك، ولو أن في ذلك تصنعاً، يؤدي بالمتعلم إلى حفظ النصوص الشعرية دون فهمها في كثير من الأحيان.
مجمع الأمثال:

مصنفه وآثره وأقوال العلماء فيه: أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفضل الميداني النيسابوري (000-1518هـ). لقب بالميداني النيسابوري نسبة إلى ميدان زيدان بن عبد الرحمن، وهي محلة من محلات نيسابور. وقد ولد ونشأ وتوفي في نيسابور حاضرة خراسان الكبرى، ولم يبرح نيسابور إلى غيرها من حواضر العلم الكثيرة في عصره.

كان أبيداً فاضلاً عارفاً، وناب نبوغًا عظيماً أدهش أصحابه من الكتب، وأتقن العربيَّة خصوصاً اللغة وأمثال العرب، وكانت له يد باسطة في أنواع الأدب، وقد سمع الحديث وقام بروايته.

تلتمذ الميداني على بعض أعلام عصره، ومنهم أبو الحسن الواحد صاحب التفسير المشهور الذي اختص بصحبته، فأخذ عنه وسمع التفسير منه، وقرأ النحو عليه، ثم قرأ على غيره أمثال يعقوب بن أحمد النيسابوري، وكتب عن الإمام أبي الحسن علي بن فضال المجاشعي النحوي.

ولا يعرف من أشرة الميداني سوى ابنه أبي سعد سعيد، وقد كان كوالده أديباً فاضلاً، وله كتاب سمته الأسمى في الأسام. توفي الميداني نهار الأربعاء الواقع في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة 518هـ.

جمع الميداني بين علوم التفسير والنحو واللغة والأدب، وخلف السفر العظيم

الموسم بمجمـع الأمثال الذي لم يعد في بابه مثله قط.

وهكذا أفاد الميداني المكتبة العربية بجملة تصنيفه، لما كان لها من أهمية في

آداب العربية وعلومها. وأورد هنا ثبـثًا بمؤلفاته، كما أوردـها يـفاقتم الحمـاوي

والسيوطي والصفدي:

- الأنموذج في النحو، وقد نـشره النبياني في إستنبول سنة 1299هـ.

- السامي في الأساسي، وهو معجم في الفقه والأحياء والأثار العلوية والأثار

السفلية، للكلمات العربية مع شرح بالفارسية، أكمله في التاسع عشر من رمضان

سنة 497هـ. وقد وجد الباحث أنه كتاب مطبوع، وقد حققه محمد موسى

هنداوي، وتُنشر في عمان، 1967.

- شرح المفضليات.

- المصادر.

- نزهة الطرف في علم الصرف، وهوكتاب مطبوع، نُنشر في القاهرة،

1993م.(1)

(1) ينظر معجم الأدباء 2: 511، إتباع الرواة 157:1، الوافي بالتوقيات 266:7.
- مجمع الأمثال : وهو ستة آلاف مثل ونَيْف، وطُبّع طُبُعات مختلفة من
أجودها طبعة محمد محبي الدين عبد الحميد.

وأضاف بروكلمان إلى تصنيف الميداني:

- كتاب الهادي للشادي، وهوكتاب في النحو مع تعلیقات وشرح
بالفارسية، ألفه بعد كتاب السامي.

- بحث عن بناء الجمع والحروف.

- رسائل نحوية صغيرة.

- تفصيل النشأتين وتحصیل السعادتين، وطُبّع في القاهرة بلا تاريخ، كما
طُبّع في بيروت سنة 1319هـ، وقد نشره طاهر الجزائري عن مخطوطات
الخالدية بالقدس التي كُتِبَت سنة 963هـ.

- قيد الأوّابد من الفوائد. (1)

(1) تأريخ الأدب العربي: 2145.
وأجمعت كتب الترجمة التي ترجمت للميداني على وصفه بالعلم والفضل، فقد
وصفه علماء الترجمة أنه إمام أهل الأدب في عصره. وقد اشتهر بأدبته، وعرف
في البلدان بتصانيفه المنتشرة المشهورة. قرأ الأصول وأحكمها، ثم أخذ في التصنيف
فأسنى كل الإحسان فيما جمعه وصنفه، وتقدم بالترتيب والتحقيق، وأحسن
على غيره فتم وقع في الزلل من المصنفين، وبذلك شهد له الأقران الدين
عاصروه.

ومن أطلع منهم على كتبه فقد شهد بعضها، وفي هذا قال عنه القفطي: "قرأ
الأصول وأحكمها، ثم أخذ في التصنيف فأسنى كل الإحسان فيما جمعه وصنفه،
وأربي على من تقدم بالتربيب والتحقيق، واستدرك على بعض من زل قبله من
المصنفين". (1)

وقال عنه: "الإمام أستاذنا، صدر الأفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني
صدر الفضلاء، وقدوة الأدباء، قد صاحب الفضل في أيام نفد زاده، وفنّى
عتاده ووضاعت عدته، وبطلت أهيتة، فقوم سند العلم بعدما غيّرتها الأيام
بصرفها، ووضع أنامل الأفضل على خطوطها وحروفها، ولم يخلق الله تعالى
فاضلاً في عصره إلا و هو في مأدبة أدبته ضيف". (2)

(1) إنباء الرواة: 156:1.
(2) المراجع السابق: 157:1.
ونقل الصفدي صاحب الوقفي بالوفيات حين ترجم له قول محمد بن أبي المعالي ابن الحسن الخواري في كتابه: ضالة الأدب من الصحاح والتهذيب، فقال:
"سمعت غير مرة من كبار أصحابه يقولون: لو كان للذكاء والشهامة والفضل صورة، لكان الميداني تلك الصورة. ومن تأمل كلامه، واقفاً أثره علم صدق دعواهم". (1)

ويظهر من خلال عرض النصوص السابقة، والنظر فيها، أن الميداني قد احتل مكانة عظيمة، وأنه استغل بعدة علوم من علوم اللغة، فقد دون الكتب المفيدة في علم النحو والصرف، والأمثال العربية، وقد استهر عند العلماء عامة بالتصانيف الحسان المفيدة، وقد تقدم على من سبقه بترتيبه وتنظيمه للمصنفات، وكان يستدرك على المصنفين الذين تقدموا عليه فصلى التصنيف والتأليف، وفي هذا دالة نباهة وعلم تميز بها عن غيره، والدقة التي تحل بها في ترتيب العلوم وتصنيفها، فها هو الحسن التأليف ويدع، ويصوب ويصحح، وقد شهد له أقرانه بالذكاء والفضل والشهامة، ومن تبحر في طبي مصنفاته علم صدق ما وسمه به أصحابه.

ومن نظر في مجمع الأمثال تحديدًا، علم عظم القيمة العلميّة التي أودعها الميداني في هذا الكتاب، والتي تؤيد ما قبل فيه.

(1) الوقفي بالوفيات 7:327.
سبب وضعه ومصادره ومنهجه:

يذكر الميداني في توطئة كتابه أنَّ سبب وضعه هذا الكتاب هو ضياء الدولة منتخب الملك أبو علي محمد بن أرسلان الذي أشار عليه بجمع الكتاب ووضعه حيث يقول: "هذا ولمَ نقدر ارتحالي عن سنته، عمروها الله بطول مدته، أشار بجمع كتاب في الأمثال، مَرَّ على ما له من الأمثال، مشتمل على عُنْهَا وسِمْينها، محتوى على جاهليها وإسلاميها، فهدت إلى وطني ركض المنزع شَمْرَة الغالي، مشمَّراً عن ساق جدٍّ في امثال أمره العالي.

ويقول الميداني في ذكر مصادر كتابه: "فطالت عن كتب الأئمة الأعلام، ما امتدت في نقصتِه نفس الأيام، مثل كتاب أبي غياثة وأبي غييث، والأصمعي وأبي زيد، وأبي عمرو وأبي قيد، ونظرت فيما جمعته المفضل بن محمد، والمفضّل بن سلمة حتَّى لقد صُنعت أكثر من خمسين كتاباً، ونخلت ما فيها فصلا وباباً باباً، مُفَطَّشاً عن ضَوْئِها زوايا البقاء، ونقلت ما في كتاب حمزة بن الحسن إلى هذا الكتاب، إلا ما ذكره من خرَزات الرقَّى وخرافات الأعراب، والأمثال المزدوجة لاندماجها في تصاعيف الأبواب.


2) انظر المرجع والصفحة نفسها.
هكذا ذكر الميداني في مقدمة كتابه أهم المصادر التي اعتمدت عليها في تصنيف الكتاب، وبعدها انتقل إلى ذكر أسماء رواة الأخبار التاريخية، ومنهم عبيد بن شربية والشرقي بن القطامي، وبعد ذلك أوضح منهجه في التصنيف حيث عمد إلى ترتيب كتابه على نسق حروف المعجم، وكان لا يعد ألف الوصل والقطع والأمر والاستفهام، ولا ما ليس من أصل المثل حامزًا إلا ما كان من هذه الحروف من أصل المثل، ثم أتبع ذلك بذكر الأمثال الواردة على وزن أفعال، وانتقل بعدها لذكر أمثال المولددين، وخصص الباب التاسع والعشرين بذكر أيام العرب دون وقائعها، وجعل الباب الثلاثين في نبذ من كلام النبي عليه السلام، وكلام خلفائه الراشدين.

أما منهجه في تصنيف الكتاب، فيتخص في أنه رتبه على حروف المعجم في أوائلها، وذكر في توضيح المثل بعض المغالق في اللغة والنحو، وافتتح كل باب بما نقله من كتاب أبي عبيد، ثم أعقبه بما جاء على وزن ( أعقب )، ثم أورد أمثال المولددين دون شرح أو توضيح.

ثم يقول: "وسميت الكتاب مجمع الأمثال، لاحتوائه على عظيم مع وجه مهما، وهو ستة آلاف ونيف." (2)

(1) انظر مقدمة الميداني: 4:1
(2) مجمع الأمثال: 5:1
ومن تتبع أمثال المولدین في الكتاب، يجد الميداني قد حكم عليها بأنها من أمثال
الفصحاء حديثًا، وحكم عليها من أمثال المولدین حديثًا آخر؛ وللذذا يجب إعادة
النظر والبحث في هذه الأمثال، حتي يظهر صدق الحكم فيها، إن كانت من
أمثال المولدین أو من أمثال الفصحاء، وذكر بعض هذه الأمثال على سبيل
الممثيل، ومنها قوله: "لا يذهب العرف بين الله والناس" (3664)، فقد ذكره في
أمثال الفصحاء، وهو عجز بيت للحقيقة من بحر البسيط التام، حيث قال:
من يفعل الخير لا يعده جوازية لا يذهب العرف بين الله والناس (1)
ولكن الميداني عمد إلى ذكره تارة أخرى في أمثال المولدین (2)
وقد وقع الميداني في التكرار غير مرة، فقد وردت عنده أمثال مكررة، ذكر
كلا منها في غير موضع من تضاعيف الكتاب، ومنها قوله: "أشرب من رمل
(2065)، وأعاده بلفظ "أشرب من الرمل و من الصمع و من عقد الرمل "
(2077)، ومنها قوله: "أسرق من شظاظ " (1867)، وكررها بلفظ: "ألف
من شظاظ ومن سرحان " (3745)، ومنها قوله: "إن لم لا تجن من الشووك
العنب " (209)، وأورد بلفظين آخرين هما: "أعجر من جاني العناب من الشووك"
(2644)، و "لا تجن من الشووك العناب " (3582).

(1) والبيت في ديوان الحقيقة ص 109.
(2) مجمع الأمثال: 260:2.
قيمته الفنية:

جمع كتاب مجمع الأمثال للميداني كمًا لا يستهان به من الأمثال العربية القديمة،
لوفرة كتب الأمثال العربية التي وقعت بين يديه، فقد تصفح أكثر من خمسين كتاباً، وقلب ما فيها فصلا فصلا وبابًا بابًا، وبدأ ينقد هذه الأمثال، ويختار منها ما اطمأن إليه مبتعدًا عن خرافات الأعراب، إضافة إلى ما كان يضيفه في تضاعيف أمثاله من الشروح المفيدة التي تضمنت مسائل النحو والإعراب.

وقد اكتسب مجموع الأمثال إعجاب الناس، فوصف بأنه كتاب لم يعمل في بابه مثلك فقط، وإنه لجدير بهذا الوصف الرائع؛ لاحتوائه من الأمثال القديمة مالم يحوّه كتاب غيره، ولأنه كتاب قد أجاد فيه مصنفه شرح المثل.

وقد نال كتاب مجمع الأمثال شهرة مستفيفة بين العلماء والمصنفين، ولا يدعونا العجب إذا ما طالعنا أخبار مفادها أن الزمخشري لما وقع كتاب الميداني بين يديه، واطلع عليه وتصفحه ندم على تأليف كتابه المستقصى لأنه رأى دونه في التصنيف.

ومن مظاهر أهمية مجمع الأمثال وشهرته أن أقبل عليه العلماء اختصاراً ونظماً، ويضاف إلى ذلك الروايات التاريخية التي سجلها الميداني في كتابه نقلاً عن رواة الأخبار التاريخية.
وهذا كله يُظهر القيمة الفنية لكتاب الميداني الذي شمل كثيرًا من المسائل والقصص والأخبار، وذلك لأن الميداني عمد إلى الرجوع لعدد كبير من كتب الأمثال، وقام بتحصين ما فيها، وطرح ما في هذه الكتب من الخرافات، ونقد هذه الأمثال نقدًا سليما قبل القيام بتدوينها، حتى يخرج الكتاب في أبهى صوره.

ويضاف إلى ذلك رجوعه لعدد من الكتب اللغوية المهمة كما أشار في مقدمته، وفي هذا دلالة على سعة إطلاعه ومدى تمكنه من المادة العلمية التي أدرجها في كتابه.

والحق أن الميداني رفع من قدر كتابه بما أضاف إليه من أيام العرب، وما زاد فيه أيضاً نبذاً من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة والتابعين.

ويضيف إلى ذلك الثروة الشعرية الكبيرة التي حوياها كتاب مجمع الأمثال بين طبيات كواحدة، فمن هذه الأشعار ماكان يفسر فيه المثل، ومنها ما كان يزدهر لتوضيح المثل الوارد عنده، ومن هذه الأشعار ما كان أصلاً للمثل.

ويذكر تلميذ الميداني (يوسف الخوتي) قوله في مجمع الأمثال وهو ينوه إلى فضله، بقوله: "وقد وفق الإمام الشهيد أستاذ وأمامي أبو الفضل الميداني رحمه الله تعالى، لنظم عقدها المتبدد، وجمع شملها المشتت، في سلك كتاب مجمع الأمثال" (1).

(1) قرائد الخوئيني ص.5.
ويقول زهليم: "مع ملتقى القرن الخامس بالسادس الهجري، جمعت الأمثال العربية القديمة في كتابين ضخمين هما: مجمع الأمثال "الميداني"، و "المستقصي" في أمثال العرب "للزمخشري". وقد أصبح هذان الكتابان مرجعين كبيرين لهذا النوع من الأدب، وبيما كذلك حتى يومنا هذا". (1)

وهذا كله يظهر أهمية مجمع الأمثال، إضافة إلى ما ورد فيه من المادة العلمية الكبيرة التي استوعبت كتب الأمثال السابقة أو أخرى، والمراجع التي أشار الميداني في مقدمته إلى الرجوع إليها، والمراجع اللغوية التي عمد إليها.

طبعته

طبع مجمع الأمثال طبعات عدّة في أوقات متباينة امتدت لأكثر من مئتي سنة، ابتداءً من طبعات بعض المستشرقين. وهذا ثبت بهذه الطبعات:

- طبعة المستشرق الهولندي هنريك البرت شولتز، طبعة ليدن عام 1773م.
- طبعة المستشرق فريتاج طبعة بون 1838م.
- طبعة محمد الصباغ ومحمد قطة العدوي، طبعة في مصر - بولاق 1284هـ.

(1) الأمثال العربية القديمة ص 209.
- طبعة الشيخ حسين بن أبي بكر الملقب بالنجمي الكرماني ، طبع في طهران 1290م.
- طبعة القاهرة - مطبعة الخيرية 1310هـ، وهما من جمهرة الأمثال العسكرية.

- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ثلاث طبعات أخرى 1392هـ.
- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة 1398هـ - 1978م.
- تحقيق جان عبد الله توما - دار صادر بيروت - 2002م.
- تحقيق قصي الحسين - منشورات DAR الهلال - بيروت - 2003م.
- تقديم وتعليق نعيم حسين زرزور ، دار الكتب العلمية - بيروت - 2004م.

ويظهر من خلال الطبعات المعروضة أن في هذا إشارة لأهمية الكتب، ومدى العناية به دون غيره من كتب الأمثال؛ مما يعني دلالة واضحة على أهميته البالغة وتميزه بين كتب الأمثال.

وعند النظر إلى التاريخ المدرج في الطبعات نلحظ التسلسل الزمني في المختصرات التي ألقت في مجموع الأمثال.

وعقد وقع اختيار الباحث على طبعة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، لأنها من أجود الطبعات وأحسنها، ولما لها عنابة بالشواهد الواردة في الكتاب.
بين مجمع الأمثال والمستقصى:

ويذعننا قول زلهايم عند حديثه في الصفحات السابقة عن المجمع والمستقصى إلى إجراء مقارنة عجلة بين الكتّابين، وبينما ما بينهما من فروق، بعد أن تبينأ خصائص المجمع وصفاته ووقفنا على منهجه وطريقته.

إذا ما حاولنا عقد مقارنة بين مجمع الأمثال وغيره من الكتب المختصة بالأمثال سنجد أن من الأفضل مقايسة الوضد بالضد، والمثل بالمثل، ولهذا أحب الباحث أن يعقد موازنة بين أهم كتابين يرزا في الأمثال، وهم: مجمع الأمثال والمستقصى في أمثال العرب.

يقول زلهايم: "إذا ما نظرنا إلى مقدمة الزمخشري فإننا نجد أنه يذكر في مقدمتها أنه يسير فيه على النظام الأجدجي الدقيق، لأنه أوضح النظام للثور على الأمثال بسهولة. وأنه يذكر في شرحه لكل مثل القصص والحكايات والتعبيرات التي يتطلبها المثل، وطريقة فهمه واستخدامه، وبعض الشواهد، وكذلك الرواة والمصادر التي يرجع إليها، نجد الميداني يذكر في مقدمته إلى جانب الملاحظات العامة أهم المصادر بالاسم".1

وذلك إذا نظرنا إلى المادة العلمية المطروحة في الكتّابين، نرى أن كتاب الزمخشري أقل ضخامة من كتاب الميداني.

_________________________________________
(1) الأمثال العربية القديمة ص212.
وفي ذلك يقول زلتهام: "أما المستقصى للزمخشري، فإنه ليس بضخامة مجمع الأمثال للميداني. وإذا صرفا النظر عن أن هذا الكتاب لا يوجد به أمثال مولدة، فتلك الأمثال التي أثارت فيما بعد اهتماماً لايقل عن الاهتمام بالأمثال القديمة، فإن المستقصى - وقد ألفه صاحبه في شبابه - يعبأ كذلك بأن الأمثال لم تعالج فيه علاجاً كاملًا كما في مجمع الأمثال، وعلى العموم يبدو أن الزمخشري قد اعتمد في تأليف المستقصى على المصادر الأساسية نفسها التي استخدمها الميداني، ولنحيس في المستقصى إلا القليل من المادة الجديدة التي لا نعثر عليها فيما بقي لدينا من كتب الأمثال الأخرى." (1)

ويظهر أن المادة العلمية التي اعتمد عليها الميداني والزمخشري واحدة، ومع هذا فإن الميداني فاق الزمخشري في ترتيب الكتاب وإعداده، حتى إن الزمخشري لما سمع بكتاب الميداني، وأطلع عليه ندم على تأليف كتابه المستقصى؛ لأنه رأبه دون المجمع.

ويخلص الباحث من خلال هذه المقارنة إلى مايلي:

- كتاب الزمخشري أقل من كتاب الميداني في مادته العلمية.

(1) الأمثال العربية القديمة ص212.
تناول الزمخشري للمثل لم يكن واسعا كمافي كتاب الميداني ، ويشمل ذلك الاستشهاد على المثل بالشعر ، والقرآن ، وتوضيح قصة المثل .
كلا الكتبين اعتمد على المصادر نفسها ، مع ذلك نجد في المستقصى القليل من المادة العلمية ، التي لا نجدها في كتب الأمثال عامة .

دراسة إحصائية :

مجمع الأمثال حديثة غناء زاخرة بكل الألوان والثمرات ، اشتملت على طائفة من الأمثال حفظت جانبيًا من العربية وتراثها اللغوي ، وتتنوع مصادرها وموضوعاتها وأماثلها اللغوية . وقد استوفيتم أمثال الميداني في حرف الباء عدا ما ورد من أمثال المولدتين ، فأكثرها أقوال مطلقة مستددة إلى التجارب الإنسانية ، ذكرت مختصرة غاية الاختصار ، حتى إن المصنف ذكرها خلوا من أي تعليق أو تحقيق.

لذا كان لابد من دراسة هذه المصادر وال الموضوعات والأماثل اللغوية ، حيث تم تصنيفها فيما يلي :

مصادر الأمثال وموضوعاتها وأماثلها اللغوية :

أخذت بعض أمثال الكتاب من القرآن الكريم ، واقتبست من الآيات ، فاستميت منها قوة الأسلوب ، وتميز العبارة ، بلاغة التعبير ، وأخذ بعضها الآخر من الحديث الشريف ، من جوامع الكلم الذي أكسبها فصاححة العبارة ، وحسن الأداء .
أما الشعر القديم - وهو ديوان العرب - فبذه أن يستمد كثير من الأمثال أصوله منه، ليعكس بذلك رواج الشعر العربي في زمن المؤلف، وبالإمكان

القول إن كثيرًا من أمثال الميداني استندت إلى الشعر العربي، وأخذت منه.

وتعد الأمثال الشعرية الأكثر ورودًا قياسًا مع أمثال القرآن الكريم، والحديث

النبي الشريف.

أما سائر أمثال الكتاب، فهي مستمدة من أقوال العرب وعباراتهم البليغة المبينة

على تجارب الحياة العملية، وإبداعات الفكر النظريّة.

ويجب الإشارة في هذا الموطن، إلى أن الأمثال التي وردت مأخوذة من أقوال

العرب الفصحاء، خلاف الأمثال التي أوردها الميداني في الباب الأخير من كتابه.

تتنوع موضوعات الأمثال ومضموناتها تنوعًا واسعًا، حتى صرنا نجد في

المجمع أمثالًا متصلة بالعقيدة والمفاهيم الإسلاميّة، وأخرى تعكس صورة الحياة

الاجتماعيّة، والعادات والتقاليد التي سادت في المجتمعات العربيّة.

ولا يخفى على الناظر في هذه الأمثال، أنها احتلت كما جيدًا من حيز الكتاب؛

وذلک لأن هذه الأمثال قيلت من أجل معالجة القضايا المتعددة في المجتمع، وكما

نعلم أن الأمثال جاءت لبيان قيمة اجتماعيّة معينة، وليحظ بوضوح أن الأمثال
تُقال بمناسبات متشابهة، وأكثر ما تُطرق هذه القضايا في الحياة اليومية المأخوذة من واقع الناس المألوف.

وطائفة ثالثة مثلت أفكارًا تربوية متصلة بأساليب التنشئة والتربية والتقييم، ودالّة على ما وصل إليها أصحابها من مستوى فكريٍّ راقٍ.

وفي الحقيقة إن التربة بالمشابهة والمحاكاة من أفضل سبل التعليم؛ وذلك لأنها تُمثل ميزاناً راسخاً يُحفظ في القلب والذهن، فِجاءت هذه الأمثال التربوية لتحقيق هذا الهدف، وفي ذلك المشهد الذي يعاينه ضارب المثل للمضروب له المثل أبلغ العظة والعبرة؛ لأنّه ربما بعد قيامه بالعمل، ندم على ما قام به، فأراد بعد ذلك نَصَحًا وإرشادًا وتوجيهًا، فتتَقدم ضارب المثل له بالتوجيه والإرشاد من خلال سرد المثل، ومن قام بالعمل، وتتبّه بعد ذلك فتتّبه، لم يُعَدد لتكرار الفعل خشية الوقوع في الخطأ تارة أخرى.

وعكست طائفة أخرى من الأمثال قصصًا تاريخيًا، كان المؤلف يستغل ذكرها في الأمثال، فيعرض لها عرضاً موجزاً حيّناً، وبعرض لها عرضاً مفصلاً حيّناً آخر.

والأمثال التي ورد فيها الدلالات التاريخيّة كثيرة، وقد أفرد الميداني لها بابًا خاصًا، وهو الباب التاسع والعشرون من الكتاب، فقد ذكر فيه أسماء أيام العرب الجاهليّة، وقد ذكر بعض هذه الأيام موضحاً أسماء قبائلها، أو ذاكرًا مواضيع.
واقعها الجغرافية، وبعضها اكتشف بذكر اسم اليوم دون أي تفصيل أو توضيح، وخلص إلى عبارة مهمة وهي قوله: "وهذا الفن لا يقتضى الإحصاء، فاقتصرت على مذكرات"، وإذا قرر الميداني هذا، فإن مجال البحث واسع متشعب، ووجب الرجوع فيه إلى المصادر التاريخية المعقدة، وهذه المصادر منها ما هو مختص بأسماء القبائل والرجال والأنساب، ومنها ما هو مختص بمواضع البلدان وأماكنها، ومنها ما هو مختص بالتاريخ القديم المروي في زمن الجاهلية، وغير ذلك من المصادر الأخرى، والتي فاضت بها كتب الأدب، والتاريخ، والرواية.

و في خلاصة هذا الباب، عمد إلى ذكر أيام الإسلام العاصفة.

توعزت أنماط الأمثال اللغوية المعروضة في الكتاب بين العبادات الأدبية الإنشائية، والخريجية، والسردية، فمن تلك الأمثال ما جاء معتمداً على أسلوب النهي، ومنها ما كان معتمداً على أسلوب النفي، ومنها ما اعتمد على أسلوب الاستفهام والتصغير والتفضيل، وغير ذلك من الأساليب المعقدة.

و قد دعَّمت تلك الأساليب بالأسلوب القصصي، ومعلوم أن هذا الأسلوب يشد القارئ إلى معرفة ما وراءه من فكرة، وهدف يحاول العثور عليها واستخراجها، ولا يوجد مصنف إلى ذكر الحادثة الكامنة وراء المثل بأسلوب قصصي مناسب، تقريبًا للإثيم، وتشويقًا للقارئ.
والآمالي التي ورد فيها القصص والأخبار كثيرة، ولا يكاد باب من أبواب الكتاب لم يطرقه؛ لأن الميداني عمد في شرح هذه الأمثال بذكر القصص والأخبار التي صاحبت الأمثال.

ومن الأساليب المتبعة في إيراد المثل وشرحه الأسلوب السردي، الذي يذكر فيه حقائق المثل ومعانيه مجرد من أي أسلوب آخر.

كما أنه اكتفى في كثير من الأحيان بإيراد المثل دون شرح أو تعليق مكتفيًا بذكره، وتتركًا للقارئ استنتاج ما يريد منه.

**جدول إحصائيّة:**

اختيرت من الكتاب الباب الثاني فيما أوله باء، واشتمل هذا الباب على مئسة وثمانين مثلاً (1) من مئة وخمسة وثلاثون مثلاً مبدأ بحرف الباء، وخمسة وأربعون مثلاً على وزن أفعل.

وقد أجريت دراسة إحصائيّة لهذه الأمثال تناولت مصادرها وموضوعاتها وأنماطها اللغوية، حسب الجدول التالي:

(1) مجمع الأمثال: 90-121.
جدول رقم (1)

يَبِين مصَّادر الأمِثال

<table>
<thead>
<tr>
<th>المصدر</th>
<th>العدد</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>أمثال مأخوذة من القرآن الكريم</td>
<td>2</td>
</tr>
<tr>
<td>أمثال مأخوذة من الحديث الشريف</td>
<td>1</td>
</tr>
<tr>
<td>أمثال مأخوذة من الشعر</td>
<td>27</td>
</tr>
<tr>
<td>أمثال مأخوذة من أقوال العرب</td>
<td>9</td>
</tr>
<tr>
<td>أمثال أخرى</td>
<td>141</td>
</tr>
</tbody>
</table>

(أ) يلاحظ في هذا الجدول، أن الأمثال المعتمدة على القرآن الكريم والمأخوذة منه محدودة، فمنها قوله: "أَبْنِ مِنْ فَلَقٍ الصَّبْحِ وَفَرْقٍ الصَّبْحِ" (794). وظاهر أنه استعار للمثل لفظة الفلك، والفرق الفجر، ولفت ذلك نظر المصنف فأورد قوله تعالى: "قل أعوذ برب الفلك". ربطًا بين الآية الكريمة والمثل.

أمَّا الأمثال المأخوذة من الأحاديث الشريفة فمثالها قوله: "أَغْضَبْ بِغِيَضَكَ هُوَ نَعُوْمًا مَا" (444). وهو جزء من حديث شريف نصه "أَحْبَبْ حَبِيبك هُونَا مَا، عَسِي..."
أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما (1). 

والذين استهار المصنف لفظة قرآنية في المثل السابق، فقد استهار هذا جزءًا من الحديث، وقصر المثل عليه، فعله رأى أن أقرب عبارة تدل على المقصود منه، هي عبارة الحديث وألفاظه، فذكّر الدين في الأول بالآلهة الكريمة المأخوذ منها الفظة، فإنّه أغلق هذا الاستشهاد بالحديث، بل أغلق ذكر أن المثل الذي أورده هو جزء من حديث شريف.

وإذا ذكر المصنف مثلاً مأخوذًا من الشعر مستنداً إليه، عمد إلى ذكر الشاعر والشاعر حينًا، كما في قوله في إيراد المثل "بعضَ الْشَّرْ أَهْوَنَ مِنْ بَعْضٍ" (455): "هذا من قول طرفة بن العبد خيبر النعومان بقتله، فقال:

"أبا منذر أقنيت فاستبقي بعضنا حنانك بعض الفَّشْرَ أَهْوَنَ مِنْ بَعْضٍ" (2)

وإلى ذكر الشاعر وإغفال الشاعر حينًا، كما في قوله في إيراد المثل "أبوطش مِنْ دوْسَرٍ" (593): "قال الشاعر:

"ضَرَبَتْ دوْسَرُ فِيهِم ضَرْبَةً أَثْبَتُ أُوتُادُ مُلُكۡ فَاسِقَر" (3)

ودوسر إحدى كتابين النعومان بن المندى ملك العرب، وأشدها بطشاً، وسمايتها دوسر. أشتافتًا من الدوس، وهو الطعن بالنقيل لتقل وطأتها.

(1) صحيح الجامع الصغير 1:111، رقم 176.
(2) مجمع الأمثال 1:94، والبيت في ديوان طرفة ص 66.
(3) مجمع الأمثال 1:118.
وإلى الاستشهاد بالشَّاعر بما يظن أنه له علاقة بالمثل من بعيد، كما في قوله في إيراد المثال: "أباد الله خَضَرَاءَهم" (105) : "ومنهم من يقول: أباد الله غضراًهم، وهو مأخوذ من البهجة والحزن، قال الشَّاعر:

"انتُهوا التَّرَابَ على مَحَاسِنِه وَعَلَى غَضَارَة وَجِيْهِ النَّضْرِ" (1)

ويلاحظ من الأمثلة الشعرية السابقة أن المثل الأول مأخوذ من الشَّاعر، وأنه جزء منه. وأن الشَّاعر في المثل الثاني يومى من بعيد إلى ما يرمي إليه المثل من بطق كتابة دوسر وقوتها. أما المثل الثالث فجاء الشَّاعر شاهداً على رواية أخرى للمثل: "أباد الله غضراًهم". وفي موضع الاستشهاد الأخير أغفل ذكر الشَّاعر.

ولعل تداول الأمثال الشعرية، يعود ذلك إلى موسوعية حفظ الناس للشَّعر، وقابلية الشعر كمادة إيقاعية موسيقية.

ومن أقوال العرب التي ذهبت مذهب الأمثال، قول عائشة رضي الله عنها:

"بِحَمْدِ اللَّهِ لَا بِحَمْدِهِ (2)" (465) ، قالته حين بشرها النبي صلى الله عليه وسلم بنزول آية الإفك، فذهبت مثلًا تداوله الألسنة في كل حالة مشابهة، يضرب لمن يمن بما لا أثر له فيه.

________________________
(1) مجموع الأمثال 1: 104.
(2) مجموع الأمثال 1: 96.
ومثله قوله: "أَبْنَى الْمَصْرِيحُ عَنِ الرَّجْعَةِ" (507) أي واضح
الأمر وبيان، قاله لهائي بن عروة المرادي في قصة له معه (1).
ويظهر أن هذين المثليين نقلًا بخلافهما الأصليّة، ليمكن إعادة كل منهما إلى
قائله كما صدر عنه.

وبالنسبة إلى الأمثلات التي وردت مأخوذة من أقوال العرب، نتجت عن فئة محددة من
الناس، وهم الصحابة والفقهاء والعلماء وغيرهم؛ ولذا جاءت قليلة.
وفي المجمع طائفة من الأمثال لاتنتمي في مصادرها إلى أي من المصادر
المتقدمة، ووردت كما أطلقها قائلها دون أن يُعرف هذا القائل، ودون أن يشیر
المُصنِف أي إشارة تدل على ذلك، ومن ذلك قوله: "أَبْهَى مِن الْقُمْرِينٍ (2)
(604) يعني الشمس والقمر، وقوله: "بَلَغَ الْلَّهُ بَكَ أَكْمَلَا الْعَمْرِ" (564) أي
بَلَغَ الْلَّهُ أَطْولَ الْعُمْرَ وَأَخْرِ.
ولعل مرد كثرة هذه الأمثال، أنها ولدت من نبض الحياة الاجتماعيّة،
والمقابلات الاجتماعيّة الكثيرة، فجاءت من نبض الشارع الاجتماعي لتخاطب
الناس باختلاف مستوياتهم: الثقافيّة والحضارية ومستويات الأخرى. إضافة إلى
العلاقات والمواقفات الحياتيّة المتنوعة، فقد أسهمت في تكوين مصادر هذه الأمثال.

(1) انظر مجمع الأمثال 1: 103.
(2) مجمع الأمثال 1: 119.
(3) مجمع الأمثال 1: 110.
جدول رقم (2)

يُبين موضوعات الأمثال

<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>العدد</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>موضوعات إسلاميَّة</td>
<td>4</td>
</tr>
<tr>
<td>موضوعات اجتماعيَّة</td>
<td>148</td>
</tr>
<tr>
<td>موضوعات تربويَّة</td>
<td>24</td>
</tr>
<tr>
<td>موضوعات تاريخيَّة</td>
<td>4</td>
</tr>
</tbody>
</table>

(ب) يلاحظ في هذا الجدول، أنَّ الأمثال التي ضُمّنت موضوع القيَّد قليلَة إذا ما قيست بالأمثال التي تعالج الموضوعات الاجتماعيَّة أو القضايا التربويَّة، ولعل مرد ذلك في نظر الباحث إلى أنَّ التركيز في أمثال المجمع بصفتها العامَّة وقع على الأحوال الاجتماعية والتربويَّة، ولم يكن هدف المصنف فيها جميع الأمثال ذات المضمون العقديَّ، شأنه في ذلك شأن الأمثال المستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف.

فمن الأمثال التي عالجت أحكام إسلاميَّة، ما جاء في المثل: "بلَّغ العُلَّامُ الحنثٌ (1) (527)، ومنه أيضاً "بعض القتلة إحياءً للجمَيَّع (2) (529)",

---

(1) انظر مجمع الأمثال: 103.
(2) انظر المرجع والصفحة نفسها.
ومعنى الأول أن الغلام بلغ مبلغ الرجال، ودخل مراحل التكليف، والحنث: 
الإثم، ويراد بها هذه المعصية والطاعة، أي أصبح مسولا عن أعماله مُحاسبًا
عليها.
والثاني مستند من قوله تعالى: "ولكم في الفِضائل حياء". (1) وهو حد من
الحدود يقضي بأن إيقاع القتل في القتلة والمجرمين إحياء للمجتمع وحماية له،
وصيانة لحياة أفراده.
أما الموضوعات التي عالجت القضايا الاجتماعيّة فكثيرًا منها، قوله: "بابي
وجُوهُ الهَيْثَامٍ (2)" (453)، أي أفدي بيائي وجوههم، وهو مثل يضرب في
التحنين على الأقارب، وفي أصل التمثال ذكر المصدر حادثة تاریخیة للنّعما، بن
المنذر كانت سببًا في إطلاق هذا المثل، وأورد روايات مختلفة له، واستشهد
ببعض الشعر فيه.

ومن هذه الأمثلة الاجتماعيّة المعرقيّة قوله: "أبصار من الوطواط بالليل" (3)
(579)، فقد أضاف المثل معلومة في أشد المخلوقات حيًا بصر، وأورد
المصنف في بيانه معاني لغویة أخرى للوطواط.

(1) البقرة 179.
(2) مجمع الأمثال 93.
(3) مجمع الأمثال 116.
والآلتمام النروبيية تعكس قيمة اجتماعيَّة تربويَّة كما في قولهم: "بالرفاء والبنين" (1). فالرفاء: الالتحام والانفتاح، مأخوذ من رفوا الثوب، والمثل يقال في تهيئة المتزوجين، وتمني الإنجاب والحياة السعيدة لهم.

ومن الأمثلة التي تعكس قيمة تربويَّة أخلاقيَّة قولهم: "يِبَلَّس مَحْلاً بَتْ فِي صَرَيْم" (2) (60)، والصريم: الليل، وهو كذلك الصباح، فهو مـن الأضداد، ويُريد بالمثل: بين محل مِهلا بَت فيه.

أما الأمثلة التاريخيَّة فهي التي استشهد المصنف في إيرادها في قصصـ مـنالالتاريخ تَجليُّ المثل وَتوضيح قصته، وكان ذلك القصص يطول أو يقصر حسب المقام؛ فمما طال ما أورده في بيان المثل: "أَلْبِغُ مِنْ قَسُّ" (3) (67)، وهو قس بن ساعدة الإبداري، من حكماء العرب وعقلائهم في الجاهلية، ومن فضائلهم الذين ضرِب المثل في فصايته وبلاغته، فإذا ما أريد وصف أحد بالبلاغة والفصاحة قيل: أَلْبِغُ مِنْ قَسُّ.

وفي الكلام على المثل ذكر المصنف "أوليات قس"، ومنها أنه أول من قال:

أما بعد، البيتة على مـن لدَّعى وليمين على من أنكر.

(1) مجمع الأمثال: 100:1.
(2) مجمع الأمثال: 109:1.
(3) مجمع الأمثال: 111:1.
ثمّ ذكر قصة قدوم وقد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألهم عن قس بن ساعدة فعرفوه، وأخبروه بموتته، فأورد الرسول الكريم خطبة من خطبه، فهدّ لها بقوله: "كأتي به على جمل أحمر بعكاظ قائدًا يقول... "، واختتمها بأبيات له من الشعر أنشدها أبو بكر الصديق بتحفيظ الروتين والصير.

ومن مطولات الأمثال التاريخيّة، المثل: "أُبعَذّ مِن مَّادِرٍ" (2) (568)، ولعلّ قصته التاريخيّة أطول الأمثال وأكثرها تفصيلاً. يتبتين مما سبق استعانة المصنف بالأحداث التاريخيّة في بيان بعض أمثاله وتوضيحها، واستخدام الأسلوب القصصي في بعضها الآخر. وكلا الأسلوبين يشد القارئ ويشوقه إلى متابعة القراءة، وتنقيي حقائق المثل وما وراءه من معان ومعلومات.

ودرج المصنف في كثير من الأمثال على استخدام الأسلوب السردي، ونعني به ذكر المثل مجردًا من أيٍّ شرح، أو ملحقًا بالنذر اليسير منها.

(1) مجمع الأمثال 1:111، انظر المرجع والصفحة نفسها. (2)
ومن المفيد الإشارة إلى التقارب النسبي بين الأمثال التي وردت من مصادر أخرى غير مستمرة من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو من الشعر، أو من أقوال الصحابة، وبين الأمثال التي عالجت الموضوعات الاجتماعية، ليظهر لنا بوضوح أنهما قد عكسا واقع المشارك الحياتي للناس، والعلاقات الإنسانية الدارجة بينهم.

أما أمثال المولدين فقد وردت خلّواً من أيّ شرح أو تحقيق أو تعليق (1)، فقد أوردها المصنِّف (في باب البناء وفي كل أبواب الكتب) دون نسبة لقائل أو توضيح، وتجلى التناقل النسيم على بعض الأمثال في الغالب على الأمثال التي جاءت على وزن أفعل (في هذا الباب وسائر أبواب).

(1) انظر مجمع الأمثال: 166 - 167.
جدول رقم (3)

**يَبيِن الأَنماط اللُغويَّة لِلأَمثَالَ**

<table>
<thead>
<tr>
<th>العدد</th>
<th>النمط اللُغوي</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>4</td>
<td>أسلوب الأمر</td>
</tr>
<tr>
<td>4</td>
<td>أسلوب النفي</td>
</tr>
<tr>
<td>4</td>
<td>أسلوب الدُم</td>
</tr>
<tr>
<td>2</td>
<td>أسلوب التصغير</td>
</tr>
<tr>
<td>45</td>
<td>أسلوب التفضيل</td>
</tr>
<tr>
<td>1</td>
<td>أسلوب الاستفسار</td>
</tr>
<tr>
<td>41</td>
<td>الجملة الفعلية</td>
</tr>
<tr>
<td>79</td>
<td>الجملة الاسمية</td>
</tr>
</tbody>
</table>

(ج) يلاحظ في هذا الجدول، أن الأمثال التي ضُمَّنت أنماط النفي والنفي والدُم والتصغير والاستفسار قليلة، إذا ما قيست بالأمثال التي تعالج أنماط التفضيل، أو التي وردت مبدوءة بالجملة الاسمية أو الفعلية، ولعل مرَّ ذلك في نظر الباحث إلى أن التركيز في أمثال المجمع بصفتها العامة وقع على مضامينها ومعانيها، ولم يكن هدف المصنف فيها جمع الأمثال ذات الأنماط اللغوية المتعددة، ولا يمنع ذلك من وجود الأنماط اللغوية المتعددة في الأمثال بصفتها العامة.
فمن الأمثال التي عالجت نمط النفي، ما جاء في المثل: "بَابِعُ يَعْرَبُ وَجَهَهُ مَلَّمَمٌ" (1) (550)، والملّم: المغطى باللثام. ويراد بالمثل: أي لا ترَغِبِّب في مواصلة قوم لا قديم لهم، فعزهم مستور، لا يعرف إلا في هذا الوقت.

ومن الأمثال التي عالجت نمط النفي، ما جاء في المثل: "ِّبَرَقُ لَيْسَنَّ لَهُ يُعْرِفُهُ" (2) (434)، والتبريق: تحديد النظر. ويراد بالمثل: هَذِهُ مِنْ لا علم له بك، فإن من عرفك لا يعبا بك.

ومن الأمثل التي عالجت أسلوب الدم، ما جاء في المثل: "بَيْنَ السَّعْفَةِ أَنتَ يَا فَتِى" (3) (545)، وسُعُوف البيت: القصعة والقدر، وهي من مُحَقّرات متتاع البيت. ويراد بالمثل: بين السلعة وبئس الخليط أنت.

ومن الأمثال التي عالجت أسلوب الدم "بَعْدَ اللَّتَيْنِ وَالْتَيْنِ" (4) (440)، ويراد بالمثل: الداهية الكبيرة والصغيرة، وكَتَى عن الكبيرة بلفظ التصغير تَشَبِّهَا بالحيَّةُ، فإنها إذا كثر سمها صغرت؛ لأن السم يأكل جسدها، وقيل: الأصل فيه أن رجلاً من جَبِّيس تنزوج امرأة قصيرة فقياس منها الشدائد، وكَان يعبر عنها

(1) مجمع الأمثال 1:108.
(2) مجمع الأمثال 1:90.
(3) مجمع الأمثال 1:107.
(4) مجمع الأمثال 1:92.
بالتصغير، فتزوّج امرأة طويلة فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغرى، فطلقتها، وقال: بعد اللَّطَى والَّتِي، لا تزوّج أبداً، فجري ذلك على الذهابة.

ومن الأمثال التي عالجت أسلوب التفضيل، ما جاء في المثل: "أَنْخَلَ مِنَ الضَّبَّينِ بِنَائِلٍ غَيْرِهِ" (1) (571)، وهو من قول الشاعر:

وإِنَّ امْرِأَةً ضَنَّتْ يَدَاهٍ عَلَى امْرِئٍ بَنِيلٍ يَدٍ مِنْ غَيْرِهِ لَنَخْيَلُ

ومن الأمثال التي عالجت أسلوب الاستفهام، ما جاء في المثل: "بَعْدَ خَيْرِتِهَا تَحْفَظُ ؛ (2) (439)، ويُراد بالمثل: بعد إضاءة خيارة الإبل، تحتفظ بحواشيها وشرارها، ويضرب لمن يتعلق بقليل ماله بعد إضاءة أكثره.

ومن الأمثال التي وردت في سياق الجملة الفعلية، ما جاء في المثل: "بَعْدَ اسْتَفْعَلَتْهَا فُلَان يَشْوَى القَسَرَاحَ" (3) (557)، والقَسَرَاحَ: الماء. ويُراد البُّغْيَةُ، من سُهُبَات حاَلَهُ، ونفَّذ مَالهُ، فصار يشوي الماء شهوة للطبيخ.

ومن الأمثال التي وردت في سياق الجملة الإسمية، ما جاء في المثل: "البُغْيَةُ آخَرُ مَدَةُ القَوْمِ" (4) (555)، ويُراد بالمثل: أن الظلم إذا امتد بوجود أهله، فقدَ

أَذْنَ بِقَرَائَضٍ مُّلْتِهمُ.

(1) مجمع الأمثال 114:1.
(2) مجمع الأمثال 92:1.
(3) مجمع الأمثال 109:1.
(4) مجمع الأمثال 109:1.
وبهذا نتتبع الكثير من الأنماط اللغوية، والتركيب المثلية، ومن خلالها نلاحظ التنوع بين الأسلوب الخبري والإنشائي في الاستفهام والأمر، وما بين طغبان الجملة الاسمية على الجملة الفعلية، وسنجل هذا الابتداء في الدراسة التحليلية المعقدة في الفصل الثالث.
الفصل الثالث

دراسة تطبيقية

يتناول هذا الفصل الدراسة التحليلية للأمثال العربية التي تم اختيارها من كتاب مجمع الأمثال، وإذا كان مجمع الأمثال بحرًا صعب خوض غماره، فقد عمّ الباحث في اختيار هذه الأمثال إلى أن تكون هذه الأنماط الأكثر بروزًا في المجمع، فمنها ما أخذ من القرآن الكريم، ومنها ما أخذ من الحديث الشريف، ومنها ما كان مستقى من الشعر، ومنها ما وقع فيه أقوال مشهورة، ومنها ما جلّى الأساليب اللغوية المتعددة، بين الجملة الخبرية والإنشائيّة.

وقد روعي في اختيار هذه الأمثال أن تكون متنوعة المقاصد والدلاليات، وأن تتضمن ضروريًا من الأساليب والتركيبات اللغوية، ونماذج من الأساليب البيانية والبديعية، على أن يتجلى من خلالها الأبعاد اللغوية والدلاليّة، التي احتكم إليها المثل.

وسيجّل تحليلها هذه المتطلبات جميعًا، حتّى نتبين موقع الأمثال العربية من فصاحة اللغة وبلاغتها، وإسهامها في إغـ ين الجوانب الجمالية للغة العربية.

وقد عمد منهج الاختيار أيضًا على إبراز عدد من الأنماط اللغوية الشائعة، والأقل شبيهًا، ونصبها الصيغة التي يتضح من خلالها كم من الوعي الدلالي واجتماعي
والجمالي لهذه الأمثال، وما الأمور التي تستحضر لغويًا ودلالياً واجتماعياً في الموقف الفكري عند تأملها.

وقد توقفت عند أمثال المولدتين التي ألحّقتها المصنف في كل باب من أبواب الحروف الهجائية، وأثرّت الانسحاب إلى الأمثال الأصلية، اكتفاءً بما فيها من المظاهر اللغوية، صنّع الميداني الذي أوردها دون أي شرح أو تعلق.

إن من البيان لسحر(1): يضرب هذا المثل الحديثي في استحصال المنطق، وبُلْغة الحجة وقوتها.

وهو المثل أصله من كلام النبي صلى الله عليه وسلم(2)، وقصة المثل يرويها الميداني بقوله: " حين وفد عليه عمرو بن الأشتر والزبير بن بدر وقيس بن عاصم، فسأل النبي عليه الصلاة والسلام عمرو بن الأشتر عن الزبير، فقال عمرو: مَطَاعٌ في أدْنَانِي(3)؟ ، مانع لما وراء ظهره، فقال الزبير: يارسول الله إنه ليعلم مني أكثر من هذا، ولكنه حسدي، فقال عمرو: أمَا وَلَدُ الله إِنْهُ لَزَمَر المروأة(4) ، ضيق العطنة(5)، أحقَّ الوالد، أئِمَّ الخال، والله يارسل الله ما

(1) مجمع الأمثال 7:1 رقم المثل (1)، جمهورة الأمثال 13:1، زهر الأكم 136:1، فصل المقال 16، كتاب الأمثال ص 37، المستقصي 414:1.

(2) الحديث في صحيح البخاري 5:1976، وهو برقم (4851).

(3) الأدنى: جمع الأدنى بمعنى الأقرب.

(4) زمر المروأة: ذيل المروأة.

(5) ضيق العطنة: ذيل الصبر والحلقة عند البدائل.
كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى. ولكن رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسكتت فقتلت أقبح ما وجدت، فقال عليه الصلاة والسلام: "إن من البيان لسحرًا (1)."

إن الأهم لما أراد مدح الزبير قال فيه أحسن القول ممّا علم عنه، ولما أراد ذمّه قال فيه أسوأ ماعمل عنه، مما دفع النبي صلى الله عليه وسلم إلى قوله:

إن من البيان لسحرًا.

والبيان: الفصاحة واللسان. وفلان أبين من فلان، أي أفسّح منه وأوضح كلامًا. وكلام فصيح أي بليغ، ولفضل فإنّه أي طلق. والفصيح في اللغة: المطلق اللسان في القول، الذي يُعرّف جيّد الكلام من رديته. والسحر: الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر. وقال الأرهازي: وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره. (2)

وكما جاء في الحديث إن قيس بن عاصم المبَنِقري والزبير بن بُندر وَعَمُرو ابْن الألهَم قدّموا على النبي صلى الله عليه وسلم، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عَمَرو عن الزبير، فأتى عليه خيراً، فلم يرض الزبير بذلك، وقال:

والله يا رسول الله إنه ليعلم أنني أفضل مما قال، ولكنه حسن مكاني منك.

(1) مجمع الأمثال 7:1.

(2) انظر (فصيح، سحر) في اللسان والقاموس والصحاح.
فأثنى عليه عمرو خيرًا ثم قال: والله ما كنت عليه في الأولى ولا في الآخرة، ولكن أرضاني قلتُ بالرضي، ثم أستغفني فقلتُ بالسُّكَّة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لسحراً. قال أبو عبيد: كأنَّ المعنى - والله أعلم - أنه يبلغ من ثمانية أنه يمدح الإنسان فيصدّق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله، ثم يدُّمُهُ فيصدّق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر، فكأنه قد سَحَّر السامعين بذلك.

وقال ابن الأثير: إن من البيان لسحراً، أي منه ما يصرف قلوب السامعين وإن كان غير حق، وقيل: معناه إن من البيان ما يكسب من الإثم ما يكتسبه الساحر بسحره، فتكون في معرض الذم. ويجوز أن يكون في معرض المدح؛ لأنَّه

تَسْتَمَالُ به القلوب ويرضى به الساكط ويستنزَل به الصعْبٌ (1).

ويظهر أن المثل الحديثي السابق يوضح ضربا من ضروب اللسان الذي يكون فيه الإنسان ألحان من غيره في بيان حجته ومراده، فقد يقلب جمال الكلام ودقاته توجيه العبارة، حتى يغدو المنطق أبلغ في الحجة والأخذ.

(1) ينظر لسان العرب (سحر).
وعند النظر في هذا المثل فإننا نذكر حديثه صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر قال: اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إذا أنا بشر أقضي بينكم بما أسمع منكم، ولعل أحدكم أن يكون آخذا بحجة من أخيه، فمن قضية له من حق أخيه شيئا، فإنما أقطع له قطعة من النار". 

بين عليه الصلاة والسلام ما لأمر البلاغة من تغيير منطق الحديث وقلبه، وما له من أناقة في الكلام حتى يستطيع تغيير الحقائق.

ويظهر أن السحر يحمل معنى آخر هو: الدقة. ويظهر ذلك من خلال السبب بين المعنيين اللغوي الذي ورد في المعجم، ومعنًى الدلالي الذي ورد في نص السأله، أن دقة الكلام فيه دليل على استحسن منطق المتكلم، وما ورد لديه من الحجة لإقناع الخصم.

وأما الصورة المتمثلة في نص المثل فيمكن إبرازها من خلال النظر إلى عملي السحر في النفس، وعمل الكلام الذي شبه السحر، فقد ظهر الكلام في صورة أنيقة لسرعة قبوله، ولمدى تأثيره في السامع، ولا يخفى أثر السحر في ذلك من تأثيره في النفس الإنساني، فكان نص الكلام المسموع الذي شبهه بالسحر طابق السحر في عمله من صرف وجه الحقيقة.

(1) مجمع الزواردي 358:4
كما نتوالي المؤكدات التي تدل على تأكيد المعنى وبروزه، وتزيد من قوة

اللغظة وتأثيرها، مثل استعمال إن حرف التوكيد والنصب، والآلة المزاحفة،

والجملة الأسمية، ولا يخفى ما لدور الجملة الأسمية من الثبات والاستقرار.

ويقول ابن السراج: "ولا يلي أنَّ الخفية النَّاصبة للفعلِ إلا الفعلِ، و(أنَّ)

الشديدة ليست كذلك؛ لأنَّه لا يلبها إلا الاسم، وهي بعده للتأكيد." (1)

"والملام تؤكد من الجملة الجزء الذي تلتصق به، فاللام في الخبر تؤكد الخبر،

كما أنَّ (إنَّ) تؤكد الجملة بكلمها". (2) وفي هذا تأكيد لخليد محمد عليه السّلام

الوارد في المثل، من أنَّ البيان سحرّ؛ لأنه خرج عن مضمون الحقيقة السُواردة

فيه إلى مضمون آخر، وهو قلب الحقائق لمستعمل البيان، حيث أراده ذريعة

ليصل إلى ما أراد من سبك الحقيقة كما يريد.

ولتعميق تلك الصورة وجب الوقوف على حرف النون صوتياً، فهو من

الأصوات الواضحة سماعياً، ومن صفاته الجهاز واللغة، ولا يخفى ما لأمر الغناء

من الجمال والامتداد الصوتي. وقد أحدث هذا الصوت شيئًا من التجاوب الصوتي

الوارد في المثل، لأن النون جاءت خاتمة صوتية لكل كلمة من كلمات المثل.

(1) الأصول في النحو 1:266.

(2) في التحليل اللغوي ص 242.
واللام المزحلقة أعطت تأكيذاً نحويًّا، وبعدًا صوتياً جميلًا، فصل بين البيان والسحر، وأن البيان سيبقى ساحراً للأذان ولب القلوب.

وقد ظهر أيضًا في المثل السابق أسلوب التقدم والتأخير، فقد أخر اسم إن لأنه نكرة، وتقدم عليه الخبر وهو شبه جملة.

"ويُسمى سبقوه الجار والمجور والظروف إذا كان خبرًا للمبتدأ (المستقر) ، فإذا نزع عنه الصفة الإسناديّة، فإنها تصبح غير مستقرة، ولذا يحسن تأخيرها(1) "

أما دلالة الإستقرار في الجملة الأسميّة وثباتها ؛ فإنها خبر مطلق ، وقد خرج الخبر عن مفطضه ليفيد معنى التحذير.

وفي دخول اللام على خبرين لفظيّة أخرى ، ويتّم ذلك في وقوع الفصل بينها وبين اسمها ، وفي ذلك يقول الشامي : "تدخل اللام في خبرها ، أو ما جرى مجراه دون سائر أخواتها سوى لكنّ ، وفي اسمها بشرط الفصل ، نحو : إنّ في ذلك لعظة (2)"

وبهذا فقد طابق المثل في بنيته التركيبية سئّن العربيّة وقوانيتها.

(1) الصراع بين التركيب النحويّ ص 21.
(2) معجم حروف المعاني ص 204.
إن الذليل الذي ليست له عضد

هـذا المثل يُضرب للشخص الذي يخذله أعوانه وأصباره وقت الحاجة إليهم.
والعضد: مؤنثة لا غير وهما العضدان، وجمعها: أعضاد لا يُكسر على غير ذلك، والعضد من الإنسان وغيره: الساعد وهو ما بَيْن المرفق إلى الكتف.

وقد ورد هذا الاستعمال في القرآن الكريم من قوله تعالى: "ما أشهدتُهم خلق السماوات والأرض وآلا خلق أنفسهم وما كُنت مَثَلِ المُضلِين عضدًا". قال الشوكاني: "وذكر العضد على جهة المثل، وخصوص المضلبين بالذكر لزيادة البذم والتوبيق، والمعنى: ما استعنت على خلق السماوات والأرض بهم، ولا شاورتهم، ومما كنت متخذ الشياطين أو الكافرين أعوانا، ووحد العضد لموافقة الفواصل".

(1) مجمع الأمثال 21:12 (54)، المستقصي في أمثال العرب 1:404.
(2) لنظر تاج العروس (عضد).
(3) الكيف 51.
(4) فتح القدر 3:418.
ويوضح المثل السابق حال الإنسان الذي تركه ناصره وقت الضيق والناجية إلىهم، فكأنه شاب حال الذيل، عندما بقي منفردًا وقت الحاجة للمعونه، لأنه لم يجد من يعينه على قضاء أمره. ويظهر من خلال نص المثل السابق أن لفظة العضد استعملت على التأثيث، وقد وقع استعمالها على التذكر ممنقولهم العضد بفتح العين والضداد فكلٌ يذكر ويؤثر، وبهذا يظهر أنها تستعمل في الحالتين على التذكر والتأثيث، مع اختلاف الضبط.

وقد جمع هذا المثل بين التوقيد والناحي، فيؤكد المثل نفي وجود الأنصار وقت الشدة، مما يوقع الإنسان في حالة أقرب إلى حالة الذلة والهوان، وقد أبدع المثل في استدعاء الصورة المتمثلة في انصرف الأعوان وقت الحاجة، وبهذا فقد شابه حال المنفرد عن أعوانه وقت الشدة، حال الذيل الذي لا يجد من ينصره في ذلك الوقت.

فتصور حال الوحدة فيه من البيان مافيه؛ لأنه مطلق الحالة التي تحدث عنها المثل بالموقف الحسي للشخص المخول.

وفي استعمال لفظة العضد وما لها من دلالة في سياق الكلام ضرب من ضروب البيان في التصوير، فلو خُلِل اللنظر في هذا المثل منزلة الساعد دون العضد، فسيجد هذه المنزلة كمنزلة من يجد في يده قبض الريح، فصاحب العضد دون
الساعد لا يجد في يده شيئًا يستعين فيه وقت الحاجة، وقابض الريح لا يجد شيئًا في يده، وهذه حال المخزول لا يجد ناصرًا يعينه وقت الحاجة.

وقد ورد في المثل أسلوب التقدم والتأخير فقد أُخِر اسم ليس (عضد) عن خبرها، وتقدمه خبرها شبه الجملة (له)، ولعل في ذلك بيان الأهميّة ووضع الاهتمام في المعنى، بما عاد عليه الضمير المتصل في قوله (له) دون النظر إلى (العضد) وما لها من الأهمية في الساعد؛ لأن محط النظر على تصوير واقع الحالة التي تخلى فيها الناصرون عن العون، فكان الاهتمام بـالنظر إلى المخزول دون النظر إلى الأعوان.

"وقد ألحقت ليس بالأفعال الناقصة اعتماًًّا على أداة شكلية، وهي البناء على الفتح، والعلاقات التركيبية التي تنتج عن دخولها على الجملة الأسمية، فهي شبيهة بكان في هذا الخصوص." (1) وبهذا يظهر الأثر التركيبي لدخول (ليس) على المثل، حيث يغير في البنية التركيبية له، فقد غدت (عضد) اسم ليس، وغدت شبه الجملة (له) خبرًا لها. ولا يخفى الأثر التحويلي لها.

وذكر ابن السّراح في أصوله: "وأما جاز أن يكون خبرًا، فالقياس لا يمنع مـن تقديمـه، إذ كانت الأخبار تقدم إلا أنّي لا أعلم مسموعًا من العرب. ولا يتققدم خبر ليس قبلها." (2)

(1) الصراع بين التراكيب النحوية ص35.
(2) الأصول في النحو: 89-90.
وفي هذا يشير ابن السراج إلى مذهب الكوفيين، فهم لا يجوزون تقديم خبر ليس عليها، بينما يذهب البصريون إلى جواز تقديم خبر ليس عليها، ولا يمنع مانع من ذلك؛ لأنَّ اللغة قد يوجد فيها مثل هذه الأنماط الاستعماليَّة.

وفي دخول ليس على الجملة الاسميَّة نقلها من معنى الإثبات إلى معنى النفي،

وقد وقع ذلك بزيادة عنصر النفي (ليس).  

وذلك الاستدلال يوضح انطفاء الملزوم، وهو النصرة وقت الحاجة، المساوي لانطفاء اللزوم من وجود الناصرين.

ومن الأساليب البيانية التي تطالعنا في هذا المثل صورة المجاز المرسل الذي تعلق فيه السبب بالسبب.

وقد أورد الزمخشري قوله: "ومن المجاز: "قالَ سَتَشْدُ عضْدَكَ بِأَخِيكَ وَتَتَجْعَلِلكُما سُلُطَانًا فَلَا يَصُولُونَ إِلَيْكُما بِبَيَانٍ أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكَمَا الْغَالِبُونَ"."(1) وهو عضد وهم أعضادي(2) والمعنى الذي رمى إليه الزمخشري سنقويك ونعينك بأخيك،

فصد وردت على سبيل التمثيل بالاستعانة والقوة.

---

(1) انظر في التحليل اللغوي ص 156 - 157.
(2) القصص 35.
(3) أساس البلاغة (عضد) .
"الحقيقة هي استعمال الكلمة فيما وُضعت له، أي استعمال اللفظ في معناه الذي وضع له. وأمّا المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما وُضعت له مع قرينَة مانعة. أي استعمال اللفظ في غير المعنى الموضوع له، مع قرينَة تمنع من إرادة المعنى الأصلي". (1) وفي هذا إشارة إلى نقل الغلبة عن الشخص المخذّل، وقد أفاد المثل ذلك، وبهذا قد نقل المعنى الحقيقي المتباذل إلى الذهن، وأفاد معنى مجازيًا، وهو خذلان الناَصر له وقت الحاجة.

(2) بعض القتل إحياء للجميع :

هذا المثل يُضرب لبيان فائدة القصاص في المجتمع الإسلامي، وما يُؤديه القصاص من هبة الحياة للمجتمع كله. ويبيّن المثل السابق الحكمَة المقصودة للشارع في تجريم القتل دون سبب أو غرض مشروع، فقد علم الناس كما هو المشهور عنهم، أن القتل إنما يكون لأغراض شرعها الله تعالى، تحقيقًا لغايات وأهداف أرادها في المجتمع لإشاعة الاستقرار فيه، ومن هذه الأغراض قتل نفس القاتل المتعمد بالنفس التّنقي قتله زورًا وعذّدواًا، وعليه قوله

(1) الدلالة اللغوية عند العرب ص 84.
(2) مجمع الأمثال 1: 105 (295).
 تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الفصوص في القتلى". (1)

وقد ورد في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: "المسلمون تكافأ دماؤهم". (2) فقد بين صلى الله عليه وسلم حرمة دم المسلمين المعصوم، وأن دماء المسلمين واحدة في تساويها، ولايجوز الاعتداء عليها.

فلم كان القتل دونما سبب أو غرض، استحق القاتل المفسد لقانون الله عقوبة القتل بلا رجعة في ذلك، لما فيه من خرق السنن الإلهيّة التي من شأنها إشعاعة السكينة والاستقرار في المجتمع كله؛ ولأنه هدد أمن الأبرياء من الناس، فكانت العقوبة مشاكلة لحجم المخالفات التي اقترفها القاتل.

وإذا ما عمق الناظر البحث والتمحيص في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الفصوص في القتلى الحرام بالحر والعبد بالعدل والأنثى بالأنثى" علم أن حياة الإنسان مصنونة من العبودية والابتدال سواء كان رجل أم مرأة، حر أم عبد.

فقال بين الله تعالى بين حياة العبود والعبد من الأحرار، وحياة النساء وغيرهم من الرجال، فلا فرق يقع في هذا كله؛ لأن الغرض أسمى من النظر إلى

(1) البقرة 178.
(2) انظر سنن أبي داود: 89 برقم (2751).
خصوص الناس وأعيانهم، وناسب ختام الآية مسبقها جاء منها قوله: "فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَنَّهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ" فالعذاب الأليم الرادع إنما يقع على المخالف، عظمت مكانته أو حفرت وصغرت، وناسبت العقوبة موضوع المخالفة بوسوم العذاب بالعذاب الأليم.

ويطابق مثل: (بعض القتلى إحياء للجميع) المثل القائل: (القتل أنفي للقتلة)، وعلى قوله تعالى: "وَلَكَّنْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً يَا أَوْلِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكَ تَتَقُونَ". (1)

فقد خاطب الله تعالى أصحاب اللب المستنير، فينما لآثر القصاص في المجتمع من هبة الحياة للمجتمع، وعمد لاستعمال التركيب النفي: يا أولي الألباب، لعظم الأمر الواقع من خطورة القتل وفساده، فلم يخطب العامة، وإنما خطب لـب العقل الذي حواء اللبيب الخالص العقل والحكم والفكر، دون غيره من الناس.

وعند النظر إلى الفرق بين المثل العربي (القتل أنفي للقتلة) والآبـةـة الكريمة: "وَلَكَّنْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً " نرى فروفا عدة بيتها صاحب كتاب إعراب القرآن وبيانه، حيث قال: "فَقَدْ كَانَ الْعَرَبُ يُبَاوِهُنَّ بِقَوْلِهِمْ: الْقَتْلُ أَنْفِي للقَتْلَ. فجاءت آية القرآن وهي: "وَلَكَّنْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ " أكثر إيجازا، وأرشـق تعبيرًا، لأنها أربع كلمات، وهي: "في، ال، قصاص، حياة". وقول العـرب

(1) إعراب القرآن الكريم وبيانه 2: 229.
ست وهي : ال ، قتل ، أنفى ، وضميره لأنه اسم مشتق ، الكلام ، قتل . ولأن حروفها الملفوفة الثابتة وفقًا ووصلا أحد عشر حرفًا وحروف قول العرب أربعة عشر حرفًا . (1)

ويظهر في الفعل العربي ( بعض القتل إحياء للجميع ) عدة جوانب لغوية وبيانية، منها المبتدأ المضاف الواقع في كلمة بعض . ولعل المراد من هذا التبعيض أن عقوبة القتل تقع على القاتل فقط ، وهم بطبيعية الحال بعض المجتمع لا كله ، فقِتِّلْهُم يحيا المجتمع. ويظهر في هذا الموطن توير الضم ، الذي ورد كوقفة جمالية بعد حرفي صوتي طويل ، ليؤكد أن الحياة حق للجميع بعد الفاصلة النغمية. ولعلما يبدو منتقدًا في ظاهر المثل يثير الانتباه ، كيف يكون في قتل البعض إحياء للجميع ؟ وهذا يجلبه بوضوح قوله تعالى : " ولَكَ فِي الْقُضَائِصِ حَيَاةً ".

و عند النظر أيضًا في هذا المثل تظهر لفتة أخرى وهي لفظة ( للجميع ) ولا يخفى ما لها من دور في التعميم ، فقد وقع التعميم ليدخل في مفهومه كل أفراد المجتمع الذين يحيون بختييصهم من القاتلة والمجرمين.

ويظهر أيضًا من خلال استعمال لفظة المعرفة ( القتل ) في المثل العربي ( القتل أنفى للقتل ) وتشير لفظة ( إحياء ) في المثل العربي دلالة على عموم الحياة المرادة للجميع ، وهي حياة عامة لاتدخل ضمن مفهوم محدد ، بل هي هيئة الله
للسنّة جميعًا، وأما تعريف لفظة (القتل) فإنّ القتل الذي تعارف عليه الناس
واستغفاض بينهم معلوم معلوم، فهولا يحتاج إلى تعريف؛ لأن العقلاء اتفقوا
على معرفته، ومعرفة ضرره، ومعرفة سوته، ومعرفة خطره، ومعرفة
الحكمة من تعريفه، ومعرفة بالغ الخطر في انتشاره وتداوله بين الناس.
ويظهّر في المثل السابق معنيان من معاني الدلالات، أحدهما أسلوبي يحدد قيمًا
tعبيرية تخص الثقافة أو الاجتماع، والآخر نفسي يعكس الدلالات النفسية
لللمتكلم (1).

وهذا ما شاع في المثل السابق، إذ أعدّ العقل قتل القتلة إحياء للجميع، وهو ممّا
شاع عند الناس غرفًا من وجوب قتل القاتل لغبره ظلمًا وعدوانًا.

"لقد أورد القرآن الكريم صيغة "دل" بمختلف مشقاتها في موضوع سبعة تشرَك
في إبراز الإطار اللغوي المفهومي لهذه الصيغة، وهي تعني الإشارة إلى الشيء
أو الأانت سواء أكان ذلك تجريداً أم حساً ويتربث على ذلك وجود طرفين: طرف
دل وطرف مدلول" (2).

ووهذا ما حققه المصدر المستعمل في المثل (إحياء)، ومعلوم أن الإحياء هو
مصدر للفعل المنتدي أحياء، ولا يعرف أن الإحياء لأبد وأن يقع بعد وجود القتلة
قتل القاتل المنتدبن القتلة.

---
(1) انظر علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ص 95.
(2) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ص 24.
وإذا ما نظر المنتحل المنهج (بغض النظر إحياءً للجميع) ظهر عندنا بوضوح وجود الاختصاص لقتل جميع القاتلين دون النظر إلى أعيانهم، أو رتبهم، أو أجناسهم، واختصاص الحياة للناس كلهم، وذلك من خلال سياق الكلام الداخلية على كلمة الجميع.

يضاف إلى ذلك أن قتل بعض الناس (القاتل) فيه إحياء لبُقية الناس، وذلك عند تطبيق القصاص على القاتل، فتحقق الحياة للناس جميعًا، مما يدفع الناس إلى عدم التفكير في عادة التأثر المذمومة، وإن ظهر المتصادم (القاتل والحياة).

فذلك لجامع الاشتراك بينهما من تحقيق الحياة للناس من خلال قتل القاتل، فلم يعد هناك تصادم بل تشابك وتماسك من خلال تحقيق عادة سلوكيّة في المجتمع، وهي الحفاظ على الحياة للناس كافة، وفيه تصويب لعادة جاهلية وهي التأثر، جاءت القاعدة السلوكيّة التربويّة في تحقيق القصاص ومنع القتل لتصحيح العادة الجاهلية التي تقوم على التأثر وإثارة البضاعة في المجتمع المؤمن.

و في هذا المنهج استعمل الطباق الوارد فيه في (القتل، والإحياء) وفي هذا يظهر الفرق بين المتصادميين الموت والحياة، فلا تدخل الحياة في مفهوم الموت، ولا يدخل الموت في مفهوم الحياة، وسياق المخالفات بين الاضداد يظهر الفرق بين المفهومين.
بسلاح ما يقتلن القتيل

1

هذا المثل أصله من "قول عمرو بن هند حين بلغه قتل عمرو بن مامة، فغضب مراذا وهم قتلة عمرو، فطرف بهم، وقتل منهم فأكثر، فأتى بابن الجعيد سلمًا، فلم رأه أمر به، فضرب بالغمد، حتى مات، فقال عمرو: بسلاح ما يقتلن القتيل، فأرسلها مثلا. وهذا المثل يضرب في مكافأة الشر بالشر.

وتخريج المعنى يحتمل أكثر من وجه: أحدهما أنَّ أصل العبارة: بسلاح ما يقتلن قاتل القتيل، ففيه حذف، والآخر أنه يقتل من يقتل بأي سلاح كان، والثالث أنه أراد القتيل الذي قتل بين يديه وهو ابن الجعيد.

وهذا يوضح أن القاتل لايد أوان يقتل بسلاح ما، فلا بد من أن ينال أهل القتيل من القاتل بقتله، حيث أوقع القاتل نفسه في الهلاك ؛ لأن القتيل لا يتركل دمه، وبهذا فلا بد وأن يجازى القاتل بالقتل مثل فعلته.

وقد استعمل في المثل السابق بعض اللفظات اللغوية المتمثلة باستعمال (ما) التي وقعت في هذا المثل نكرة تامة مبهمة، لتبين أن القاتل لا تتركل فعلته دون الليل.

(1) مجمع الأمثال:102:1 (503) ، المستقصى في أمثال العرب:90، أمثال العرب ص151، كتاب الأمثال 316.

(2) مجمع الأمثال:102:1.
منه، فإما أن يقتل بسلاح معروف، وإما أن يقتل بسلاح مجهول، وخلاصة القول أن القتل وقع على القاتل لاحالة، وإنما وقع ذلك بالتنكر دون التعريغ لألا آلة القتل.

ترهب الإنسان وتحيله إلى معرفة الحقيقة التي يؤول إليها جراء فعله التكرار.

وربما صوّرت (ما) الواردة في المثل الحالة النفسية للقاتل، فهو يتوقع قتله على يد شخص مجهول بالنسبة له، مما زاد عنده الرعب في الحالة التي يعيشها وهو ينتظر قدره، وإذا ما كان الأمر معلوماً عنه، فلا بد له من العيش في مرحلة الخوف والانتظار في شرك المجهول الذي يحوفه وقع الخطر.

وقد ظهر الجانب الصوتي في الألف الامتدادية في كلمة (ما)، فأعطت بعداً افتتاحياً للذاكرة والمخيلة؛ لترسم صوراً متنوعة لنوع السلاح الذي يمكن أن يكون قد استخدم للقاتل.

وقد استعمل المثل السابق أيضاً دون التوكيد لتأكيد مبلغ الأسى الذي يعيش فيه القاتل.

فلا بد من وقوع القتل عليه أجلا أو عاجلا، فالغرض من التأكيد تقرير قتل القاتل، ولو بعد حين، وينظر بوضوح استعمال الجملة الفعلية دلالة على ما سيؤول إليه أمر القاتل في المستقبل؛ ولذا ناسب استعمال المضارع المقرون بالتوكيد لما فيه من دلالة يقينية على قتل القاتل.

"ولا يؤكد بها إلا الفعل المستقبل، الذي فيه معنى الطلب، وذلك ما كان قسماً أو أمرًا، أو نهيًا، أو استفهامًا، أو عرضًا، أو تمنيًا.

(1) المنفصل في صناعة الإعراب ص.143.
وهذا المقام ناسب استعمال الفعل المضارع المقرر بنون التوKeith أيضًا؛ لأنَّه دل على حقيقة مؤكدة واقعة، ألا وهي قتل القاتل جرّاء فعله من قتل الآخرين، وإن لم تكن من سياق المقامات السابقة التي عدها الزمخشري، ولكنها تنزل منزلة الوقوع؛ وذلك لدلالة السياق التركيبي عليها.

وقد وقع الفعل (يقتلون) مبنيا للمفعول؛ لأن الذي أراد الانتقام من القاتل غير معروف، وعند النظر في الفعل ذاته (يقتلون)، ويرى الباحث أن تقسيمة شبه الجملة دلالة على سد مسد المفعول به، وما لها من أهمية في التقليد لأهمية التركيز على القتل دون العفو، وتقديم السلاح في هذا الموطن له أثر في تقديم الموت على الحياة التي استحق القاتل سلبها منه بما فعل من القتل، وقد تم تقديم شبه الجملة بلفظة السلاح؛ لبيان تقديم القصاص على العفو عنه، وتقرير النتيجة المسبقة المقررة بالتوكيد.

وإذا ما وقف الناظر على حرف الفاء الوقفي، وجد فيه القوة والشدة بفكرة قاتل القتيل.

تقسيس الملكة إلى الحذادين (1):

"قال المفضل: يقال إن أصل هذا المثل أنه لما نزلت هذه الآية: "عليها تسعة عشر". (2)

(1) مجمع الأمثال: 136:1، جمهيرة الأمثال 1:268:4، النافخر ص 112، اللسان (حيد).
(2) المدثر: 30.
قال رجل من كفار مكة من قريش من بني جمعه، يُكنى أبا الأشدتين: أنا أكفيكم سبعة عشر، وأكفوئني اثنتين، فقال رجل سمع كلامه: تقي الملائكة إلى الحدادين". (1) والحد: المعن والسجن، والحداثون: السجانون، ويقال لكل:

Meaning: حد.

وأي هذا المثل يُضرب للشخص الذي يقارن الأدنى منزلة في القوة بالأعلى منزلة.

واعتد العودة إلى تفسير الآية "لَوَاحَةٌ لَّلْبَشَرِ، عَلَيْهَا تِسْعَةٌ عَشَرَ، وَجَدَ أَنَّا قُرِئَتْ لَوَاحَةً، بِالنَّصْبٍ عَلَى الَاخْتِصَاصِ لِلْتَهْوِيلِ، أي بَعْنَى أَخْسَرْ، وَبِهَذَا فَقْدِ عَظْمَ اللَّهِ سَبِحَانِه عَلَى مَا كَانَ مَهِيدًا، فَكَيْفَ بِأَصْحَابِهِ البِغَالِ الشَّدَادِ؟


عشير مثل، يمين وأيمن، معهم ملائكة، لأنهم خلف جنس المعذبين من الجن
والإنس، فـلا يأخذهم ما يأخذ المجانيس من الرأفة والرقة، ولا يسترولون إليهم، ولأنهم أقوم من خلق الله بحق الله، بالغضب له، فتمين هواهم، ولأنهم أشد الخلق بأسا وأقواهم ببطشا." (2)

109

(1) مجمع الأمثال 136:1.

(2) الكشاف 4:638.
وينقل صاحب الكشاف قوله: "وروي أنه لما نزلت " عليها تسعة عشر " قال
أبو جهل لقريش: تكلتم كهاتكم، أسمع ابن أبي كتبة يخبركم أن خزنة النار
تسعة عشر، وأنتم الدهم، أبعذ كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم؟ فقال
أبو الأشد ابن أسيد بن كلدة الجمحي، وكان شديد البطن: أنا كفسيك سبعة
عشر فاكثرزوني أنتم اثنتين، فأنزل الله " وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة " (1) أي
ما جعلناهم رجالاً من جنسكم يطاقون " (2).
ويقول القرطبي في تفسير الآية: " أي على سقر تسعة عشر من الملائكة
يلقون فيها أهلها، ثم قيل: على جملة النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها،
مالك وثمانية عشر ملكا، ويجعل أن تكون التسعه عشر نقيباً، ويجعل أن يكون
تسعة عشر ملكا بأعيانهم، وعلى هذا أكثر المفسرين، ويقول الثعالبي: ولا
ينكر هذا.
فإذا كان ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلق، كان أخرى أن يكون تسعة
عشر على عذاب بعض الخلق، وقال ابن جريج: نـعـت النبي صلى الله عليه
وسلَم خزنة جهنم، فقال: ( فكان أعينهم البرق، وكان أقوامهم الصياصي،

(1) المدثر 31.

(2) الكشاف 638:4.
يجرون أشعارهم، وأحدهم من القوة مثل قوة التقلين، يسوق أهدهم الأمة وعليهم
رقبته جبل فيرميمهم في النار ويرمي فوقهم الجبل). "(1)

ومن خلال العرض السابق للنصوص المختارة من كتب التفسير، نلاحظ أن
الملائكة المقصودين يتمتعون بالقوة البالغة والبأس الشديد، وما صاحب وصفهم
من التهويل والتعظيم، وما صاحب النار في الصفة مما وصفت به في قوله
تعالى: " ستصب في سمّى سقّر، وما أدرّاك ما سقّر، لا تبقي ولا تذر، لوّاحة للبشر " (2)

وفي هذا إشارة بارزة إلى عمق المأساة التي وقع فيها ممن دخل في خضم
المغضوب عليهم ممن سيلج النار، ليكون مصيره العذاب على أيدي هؤلاء
الملائكة الشداد النباتية.

وقد حملت عبارة المثل السابق معنى التعجب، قياسًا على ما ذكره الهاشميت من
قوله: " التعجب إذا كان الحكم غريباً، نحو: على يقاوم الأسد في جواب ممن
قال: هل على يقاوم الأسد؟ " (3)

(2) المدرّ 26-29.
(3) جواهر البلاغة ص 91.
وأما الناحية البيانية فقد ظهرت في المفارقة في القياس والمقارنة بين المـضدين، والضдан اللذان تمثلًا من خلال المثل هما المـلائكة الشداـد، والرجل الذي أراد أن يكفي قريـشًا أمر المـلائكة، فكان المـتمثل بالمثل يعقد المفاضلة التي لا تقع أبـداً، فـكان كلامه على محـمل المـقارنة المضمنة بالاسـئهام، وكـأنه قـال لـه : كيف تقايـس المـلائكة بالـحادين؟ فـسـتـان مابـينهما.
فـهـما بلـغت قوـة الإنسان، فـلا يـسـتطيع أن يـقارع بـها قوـة المـلائكة، وفـي هـذا دـليل لـشدة هـمـكـان الكفـر في قـلوب المـشركين، وـبـالغ الحـقد الـدفين عـنـدهـم على رـسول الله صـلى الله عـلـيه وـسلم، وحـرب الإسلام والمسلمين.
وـمن الـلـفات الآصـرـفـة التي تـتـالـعـنا في هـذا المـثـل صـيـغـة المـبـالـغـة المـتمثـلة في لـفظة الحـدادين، فـلـمـا اـحـتـاج الأمر للمـبـالـغـة في القوـة اـخـتـار لـفظة الـحادـاـين مـن جـانـب، وأـخـتار صيـغـة المـبـالـغـة فـيها مـن جـانـب أـخـر؛ لأـن المـقارـنة والمـبـالـغـة فـي استـعمال القوـة لـابد وـأـن تـقـع من مـثلها، وـلـكن هـيـهـات، لـفرق قوـة المـلائـكة عـن القوـة الـبـشرـيـة.
وـقـد حـمل المـثل الساـبـق أيضًا أسلـوب اـسـئهـام يـفيـهم من سياق المـثل، فـكان القـائـل استـخـدم الاستـئهام الـضـمـني بـقوله : أـتقيـس مـلائـكة الله إـلى الـحادـاـين؟، وفـي
استخدام مثل هذا الاستفهام باللغ الاستنكار والترجيح لمن أراد المقارنة، أو فكر في المقابلة، فإن أرادوا القياس، وأثنى لهم ذلك؟

ومثل هذا النمط من الاستفهام، يسمى الاستفهام غير المباشر، وهو تعبيير المتكمّل عن معنى الاستفهام بغير استعمال أداة من أدوات الاستفهام،(1) ومن تتبع النمط الاستعمالي السابق، فهم منه ضمنًا أنّ المشاركين يتعلمون القوة المطلقة للملاقحة، وأنّ رسالة محمد عليه السلام، إنما هي من لدن القوي العظيم، ولكنهم يستكرون.

(2)

تَكَلّتَكَ أمك أي جرد ترقص؟

يعود هذا المثل في أصله إلى الشعر فهو شطر من أوزان البحر الكامّل،

استعين به ليضرّب به المثل في من طلب النفع والخير، مما لا خير ولا نفع فيه.

والجرّد، الثوب الخلق، والمثل يضرّب لمن يطلب لم يلتفّ له فيه. وكأنه يصور حال الشخص الذي يريد طلب شيء لا خير له فيه، بحال الشخص الذي يحاول أن يرقص الثوب الخلق البالي القديم، فكلاهما لايجد حاجته فيما يطلب.

(1) انظر في التحليل اللغوي ص 152.

(2) مجمع الأمثال 1:155(791).
وفي المثل صورة فنية في قوله: "أي جرد ترقع؟ حيث شبه صورة الرجل الذي يطلب أمرًا لا خير له فيه، بصورة الشخص الذي يطلب الخير من الشوب البالي الذي لا يصلح حاله بالرقع.

وقد تضمن المثل أساليب الاستفهام الواقع باستخدام اسم الاستفهام: أي، "والذي نراه أن (أي) استفهام، يُقصد به التحديد والتخصيص، والاختيار بين الفروقين، ولا دور لها في الجملة إلا أن تقوم بنقلها من معنى الخبر إلى معنى الاستفهام". (1) وهذا المعنى قد تضمنه المثل، فقد جرى فيه الاستفهام الإنيكاري لتحديد أي ثوب، وإذا ثوب خلق بال، وحل يصلح مثل هذا الشوب للرقع؟ وأيًا التخصيص فقد جرى عليه أيضًا؛ لأنه خصّه بالثوب القديم البالي.

"ويُعد الاستفهام من الأساليب اللغوية المتميزة التي تدخل في نطاق الدرس الأسلوبي، وهو من التراكيب التي تحمل في ذاتها إمكانية الاتصال بين المُرسل والمتلقي؛ لما ينطوي عليه من مضمون وجدائي نفسي، ولما يتيح من وسائل تأثيريَّة تفعّل فعلها عند المتلقي، فهو يمارس إثارة الدهشة الراجعة عن قطع رتبة التلقي". (2)

(1) في التحليل اللغوي ص 136.
(2) أساليب السؤال ص 77.
وهذا ما تضمنه الاستفهام السابق، حيث أثار الدهشة عند المشاهدين، وذلك لمن طلب النفع ممّا لا خير له فيه، مما دفعه لتحول السياق إلى سياق إثارة.

"ويرد الاستفهام في الأمثلة بوصفه أحد الأساليب الإنسانية، التي تتيح إمكانية واسعة للتعبير عن معانٍ ودلالاتٍ شتى، تخرج عن معنى الاستفهام الأصلي إلى معانٍ بلاغية ومجازية." (1) وهذا ما وقع في هذا النمط التركيبي للاستفهام، حيث خرج ليفيد معنى بلاغيًا، وهو الإنكار والتعجب.

وقد تضمن المثل أيضاً أسلوب الدعاء في قوله: تكانت أمك. وقد نسبت (أي) بالفعل المضارع (ترفع)، وبهذا فقد قدم المفعول به على الفعل والفاعل جميعًا، وفي هذا إشارة إلى أهمية المقدّم، ولعل سبب التقدير هو أهمية لما فيه التركيز.

على موضوع النفع الذي ينضده راعث الثوب؛ لأنه ينشد شيئاً في غير موضعه.

وأول ما يلفت النظر في الأساليب اللغوية لتركيب المثل أنه استهل بالجملة الدعائية (تكرر الكِلّب أمك)، ويغلب في استعمال هذه الصيغة الدعائية الدعاء للسماح لا الدعاء عليه!، ذلك أنه يقع في خطأ أو سوء فهم، فيبادره مراقبة إلى تبجيله وتقدير ما وقع فيه، بهذه الجملة الدعائية التي تحتمل وجهي الدعاء، والشيء يذكر بالشيء، وذلك شبيه بما جرى لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، حيـن

________________________________________

(1) أساليب السؤال ص 76.
أردفه رسول الله السلام على دابته، وشرع يعلّمه كلمات حتى وصل إلى قوله: "كيف عليك هذا؟" (يعني لسانه)، فقال معاذ: وإنما_easy_maintainment دواً لمناوذون بما نتكلم به؟

قيل: نكلنك أمك يا معاذ! وهل يكتب الناس في النار على وجههم؟ (وقال:

على مناخرهم) إلا حصائد ألسنتهم. "(1)

فالعبارة المستعملة في كلتا الحالتين: في المثل وفي الحديث الشريف، لا يراد

بها الدعاء عليه بقدر ما يقصد بها التنبيه بما هو مثير واقف.

وشبهه بهذا المعنى المثل الآخر القائل: أنت تتفنخ في رماد، فالتافخ في رماد كالواقع لثوب خلق، عملهما لاطائل تحته، ولا خير فيه، فالواقع للثوب الخلق

سرعان ما ينفتق ثوبه من جهة أخرى غير التي رقع، والتافخ في الرماد سرعان

ما يتلاشي الرماد من حوله، فلا يحظى بشيء غير قبيض الريح.

ولعل في (أي) المنصوبة بفعل محذوف دلً عليه المذكور (ترقع) تتبنيه

مزدوجًا، تضمن أحدهما الاستفهام، وتضمن الآخر نصب أي، فجاءت أداء

الاستفهام المنصوبة لافتة بقوة إلى ما بعدها، وإذا به رقع ثوب خلق لا فائدة من

إصلاحه.

(1) الترمذي 2: 103، مسند أحمد 5: 23.
وقد تكون المثل السابق من سبعة عشر صوتًا، ورد منها تسعة أصوات وقافية،
ثمانية منها وقفي مهماً، واحد منها وقفي مجهور، وهذا يشكل بصمة صوتية
واضحة في هذا المثل.

ومن هذه الأصوات ما وقع مكرراً، ومنها ما وقع لأول مرة، وهذه الأصوات
تفتح المجال لتقارير الهواء أن يقع سالكاً في القناة، مما يحدث تناعماً بين طبيعة
الأصوات، وطبيعة الاستفهام الذي يجب الوقوف عنده.

والأصوات الوقفية الواردة في المثل تناسب المعنى الذي ينشده المثل،
ويقف المثل مؤكداً أيضاً على حقيقة مهمة، ألا وهي التوقف على حفائق الأمور
المتشوّدة، والتفكير فيها قبل السعي إليها.
جزاء صنّم (1):

الصنمان في لغة هُذِيل: اللَّصٌ، وذلك أنهم يقولون للذي لا ينام الليل صنمان، فسمى اللص به لقب نومه.

و هذا المثل ضربته العرب، وقد جرى المثل على لسان الشاعر، حيث قال:

جزاء صنّمان وما كان ذَنَب

و هذا المثل يضرب للذي يقابل الإحسان بالإساءة، أو يضرب في عقوبة المحسن البريء.

و قصة هذا المثل هي أن رجلاً روميًا "بنى الخوارثق الذي يظهر الكوفة للنعمان ابن أمري الإسلام، فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه فخَرَ ميتًا، وإنما فعل ذلك لـثلا بني مثله لغيره "(2) "، وقيل: هو الذي بني أطم أجيحة بن الجَلَاح، فلما فرغ منه قال له أجيحة: لقد أحكمته، قال: إنى لأعرف فيه حجراً لى نزع منه تقوَّض من عند آخره، فسألـه عن الحجر، فأراه موضعه. فدفعه أجيحة مـن الأطم فخرميتَا " (3)

(1) مجمع الأمثال 159:1 159:2(828)، المستقصى 2:52، فصل المقال 386، تمثال الأمثال 2:411، شمار القلوب ص 139، جمهرة الأمثال 1:305.
(2) مجمع الأمثال 159:1 160:1.
(3) المرجع نفسه 1:160. الأطم: نضمة وضمنين: القصر.
والحديث بالحديث يذكر، فقد أورد صاحب جمهرة الأمثال معنى المثل في قوله: "والناس يقولون في هذا المعنى جازة مجاراة التمساح، وبحكون أن التمساح يأكل اللحم، فيدخل في خلال أسئته، فينفتح فاه في جيء طائر، فيزقط عليها، فيخيلها، ويأكل اللحم، فيكون طعاماً للطائر، ورحة للتمساح، فربما ضم التمساح فاه على الطائر فيقتله، وروى فيه خرافة فتركتها، وأعجب من هذا الطائر طائر يطير في البحر، ويتبعه طائر صغير لا يفارقه حيث يذهب، فإذتا أضجره فلا يخطيء فمه، فيبتلعه وينصرف ويتركه". (1)

ويظهر من خلال النص أن المعنى الذي أراده العسكري، هو ذات المعنى الذي أشار إليه المثل، فقد ضرب المثل لمكافأة الخير بالشر، والأصل أن يكافأ الخير بالخير، وكذلك فقد كافأ التمساح الطائر بأكله، والأصل أن يكافأه بالمعروف، لا أن يكافئه بالشر الذي لا يتوقعه منه؛ لأن الطائر قد أحسن للتمساح، وفي هذا الأمر نظر؛ لأن الناس اتفقوا على مكافأة المعروف بالمعروف، لا مكافأة المعروف بالشر.

(1) جمهرة الأمثال 1:305.
وقد روى صاحب المستطرف قصة المثل برواية أخرى وهي "أن أردجد بن سابور لما خاف على ولده بهرام، وكان قبله لا يعيش لـه ولد، سأل عن منزل صحيح مريء، فدخل على ظهر الجزيرة، فدفع ابنه بهرام النعمان، وهو عامله على أرض العرب، وأمره أن يبني له جوينقا، فامتنع أمره، وبنى له جوينقا كأحسن ما يكون، وكان الذي بني الجوينقا رجلا يقال له سنمار، فلم فرغ من بنائه عجبوا من حسنها، فقال: لو علمت أنكم توفوني أجرته لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث دارت، فقالوا: وإنك لبنيي أحسن من هذا ولم تبنه، ثم أمر به، فطرح من أعلى الجوينقا فقطع، فكانت العرب تقول:

"جزائي جزاء سنمار".

وقد كثرت الأنباء والأخبار التي تضرب فيها أمثال مقابلة الإحسان بالإساءة، ومنها ما ورد في حكم زهير بن أبي سلمى، حيث أشار لمن يصنع المعروف مع من لا يستحقه، فيلي جزاء معروفه السوء والمذمة لذلك، وفي ذلك يقول الحكيم:

"زهير:

ومن يجعل المعروف في غير أهله يكـن حمدها دمـة عليه ويندم"

(1) المستطرف 1:451. الجوينقا: القصر.
(2) ديوان زهير 76.
وكان الشاعر يشير إلى صناعة المعروف مع أهل المعروف، وفيه تنبيه لعمل
المعروف في مكانه، ولا ضير عند المؤمن في مقابلة الشر بالمعروف؛ لأنه يحسب
ذلك كله عند الله تعالى، فلا يذهب المعروف عنده.

وعند النظر إلى المثل من الناحية اللغوية نجد أن (جزاء) وقعت منصوبة لفعل
مذود تقديره جزائي، ولم يتصل بالمثل فعل مذكور يدل على المذود؛ لأن
معرفة ذلك وتقديره، لاحتاج إلى الخبرة وبذل الجهد، فهوما اتفق عليه العقلا،
فناسب مقام الحذف العقل السليم من الإشارة إلى إهمال صُنائع السوء، بمعنى أن
حذف الفعل وفاعله جاء مناسبًا؛ لأن قيمة الفاعل لم تغِد مهمة فحذف، وحتى نزيد
من إهماله لصناعة فعله فالأهم.

وقصر العبارة المتمثَّلة في هذا المثل، لهي دليل ساطع على أن العرب كانت
تتوخى الإيجاز في أمثالها، حتى يسهل حفظها، وحتى تُؤدي الألفاظ القليلة
المعاني الكثيرة، فنتحقق في مثل هذه الأمثال مقولة: البلاغة الإيجاز.

وينظر في المثل عند بحثه من الناحية الدلالية المعاني الاجتماعيَّة التي تكمن في
الصدق والوفاء، فقد وضح المثل معنى داليًا تربويًا مهمًا، وهو الوفاء للآخرين،
لأن مثل هذه التنسيقة الاجتماعيَّة السليمة، التي يترسب عليها المجتمع، يصبح دليـ
خير على وجود مجتمع صالح صدق، وفي ولا يغدر، حتى يغدو مترابطًا قويًا
نتماسكا دائمًا.
"وبما أن السلوك الاجتماعي، فالسياق يتعهد بالكشف عن المضامين الاجتماعيّة والنفسية، بمشاركة النظام النحويّة والصرفية والصوتيّة\(^1\).

و بهذا يظهر ما في المثل من الوعي، حيث أظهر الكشف النفسي للفاعل، وذلك في سياق الحادثة التي قيل فيها المثل.

ويظهر أيضا في هذا المثل الثنائي المكرّن من كلمتين صرفية، عميق البنية الإيقاعية، فهي تعبر عن دهشة المفارقة بين ما يتوقع من رذور وفع، لمن يحسن إليه، وما بدر منه، فقد قابل الإحسان بالإساءة، فكان يناسب هذه المفارقة قصرًا نغميا إيقاعيا بنانيًا في المثل.

وقد شاعت مثل هذه الأمثال الشعرية واشتهرت؛ ولذلك لتناغم أصواتها، وقصرها، وبالتالي فلا بدّ لها من الديموومة والبقاء.

وفي ذلك " استطاع ابن عبد ربّه أن يحدد الفرق بين المثل والشعر بالبقاء، إذ أنّ المثل أبقى من الشعر. وهذا يعني أن البقاء من خصائص الشعر أيضًا؛ إلا أنّ المثل يفضله في ذلك. فإذا عرفنا هذا انتهى الأمر إلى أنّ المثل الشعري أبقى مّن الشعر والمثل كليهما\(^2\)."

---

\(^1\) الدلالة اللغوية عند العرب ص166.

\(^2\) الخصائص الأسلوبية للمثل ص53.
وعند النظر في ذلك، يرجع القول فيه إلى أن طبيعة المثل سهَّلت له السيرورة 
من جانب، والبقاء من جانب آخر، أَمَّا السيرورة، فمردها إلى قصر أَلفاظ 
المثل، وبلاغته المَعَبرة في المواقف المعينة، وتتتابع المواقف والأحداث، وأُمَّا 
البقاء فلكلورة التداول؛ ولأن الأَلسنة ما زالت تتعلق به إلى أوقات متأخرة، ومن 
المعلوم أن بقاء المثل مرهون باستعماله، وما زالت الأمثال مطروقة الاستعمال 
إلى اليوم.

حسبُك من غنى شيع ورُيُّ (1):

هذا المثل الشعري لأمرئ القيس يذكر معرَّى كانت له يقول:

إذا ما لم تكن إلَّا فعَرَى
كان فَرَّون جَلَّتها العصى
فتُمَّا بيننا أقطاً وسَمِنَا
حسبُك من غنى شيع ورُيُّ (2)

وهذا المثل لمن يقضي من الغنى بما يشبعه ويرويه، ويوجد بما فضل عنده.

(1) مجمع الأمثال 195:1 (1034)، المستقصى في أمثال العرب: 2:63، جمهرة الأمثال

(2) ديوان أمرئ القيس ص 154، الجلالة: المَسِنٌ من الماعز، أو الغنم، والعصي، جمع العصى، 
الأقط: لَنّ مَجْفَف يَطْبِّع به، وقد ورد صدر البيت الثاني في الديوان بلفظ: فتوسع أهلها أقطًا 
وسمنا.
ويقول الميداني في شرح المثل: "قال أبو عبيد: وهذا يحتمل معنيين أحدهما
يقول: أعط كلٍّ ما كان لك وراء الشبع والري، و الآخر: الغناعة باليسير،
يقول: أكتف به، ولا تطلب ما سوى ذلك، والأول الوجه لقوله في شعر له
آخر، وهو:

ولو أنما أسنى لأدنى معيشة كفاني، ولم أطلب، قليل من المال
ولكنما أسنى لمجد مؤلم، وقد يدرك المجد المأثول أمثال
وما المرء ما دامت خشائسه نفسه بمدرك أطراف الخطب ولا آل
فقد أخير ببعد همته وقدره في نفسه" .(1)

ومؤدي الأبيات أن الشاعر يرضى بأقل ظروف المعيشة والحياة، وأن ذلك
يكفيه عن الطلب، ولكن الشاعر يسعى للمجد التليق، ومن كان مثله حُق لـه أن
يطلب المجد، وأن نظرائه مكانة وصفات، قد خلقوه لهذا الشيء، والإنسان ما دام
حيًا، لا يعرف نهايات الأمور، ولا يترك من جهده شيئًا في تحصيل ما يرمي
إليه.

(1) مجمع الأمثال: 196. والأبيات في ديوان أعرئ القرش ص 54.
المجاد المأثول: هو القدح الدائم، الحشائشه، بقية النفس، أطراف الخطب: نهايات الأمور
المصائب، آل: تاركًا جهدًا.
ويتجلى في هذا المثل مظاهر اجتماعية، تحقق التكافل الاجتماعي في المجتمع،

ويغطي جنبًا من جوانب الأخلاق العربية الأصيلة التي كانت تظهر عندهم،

ومنها الكرم، وكف السائل عن السؤال.

ويعد أمرؤ القيس إلى التشبيه في قوله: كان قَرَون جَلَتِها العِصِيَّة، حيث

صور تلك الورى بالعصي التي تبدو قوية ظاهرة القوة. والبيت الثاني يصور

فه الشاعر المعزى تمامًا البيت بالأقط والسنن وكأنها أصبحت مصدرا من مصادر

الرزم والطعام عنده، ويكتفي الشاعر، بما أظهر من عزْر البيت الثاني، بالشبع

والري، وما زاد فهو فضل زائد وخير.

وقد صدر المثل السابق بقول الشاعر: و حسبك، وحسب اسم مفرد، يلزم

صيغة الإفراد، فلا يتنى ولا يجمع، وهو اسم جامد لا يدل على زمان ولا على

مكان، ويعيق في موضعين هما: أن يكون مضافًا لفظًا ومعنى، فيعـرب إعراب

الأسماء، ويفيق في محل رفع المبتدأ ويطبع نعتا أو حالا، أو يُستعمل بمعنى (لاغير)

وينفرد ومقطوعا عن الإضافة لفظًا لا معنى. فينفي على الاسم، ويطبع نعتا

أو حالا. وقد استعمل الشاعر حسبك هنـا موقع الاسم الذي حل محل

المبتدأ، والضمير المتصل به وقع في محل جر بالإضافة، وخبره الشبع والري.
ويقود استعارة شطر من الشعر في مثل سائر ، إلى استعمال الأوزان الموسيقية في الأمثال ، فهي من النثر الموظون الجميل ، وإلى ترديها وتمثيلها ؛ لأنها تقـ ع في النفس موقع القبول ، لما فيها من سهولة لفظ ، وجماليات لاتسبرها الألفاظ .

حظيْين بنات صَلْفِينَ كَتاَت (1) : "حضيْي ؛ الـذي له حظوة ومكانة عند صاحبه ، يـ قال : حضيـ فـلان عند الأمير ، إذا وجد منزلة ورتبة ، والصَّلف : جده ، وأصل الصلف قلة الخبر ، يـ قال : امرأة صلقة،إذا لم تحت ضع زوجها ، والكتة : امرأة الأبـن وامرأة الأخ أيضًا "(2).

يُضرب هذا المثل في أمَر يعُشُر طلب بعضه ، ويبتسر وجود بعضه .

وقد نُصبت كلمتا " صلفين و حظيين " على إضمار فعل محدود تقديره وجدوا ويقول السيوطي : "وقد يجب حذف الفعل كان جرى مثلاً كفصولهم: حظيْين بنات صَلْفِينَ كَتاَت " أي عرفتهم .(3) وأما كلمة بنات وأكَتات فقد نصبتا على التميز .

---

(1) مجمع الأمثال 1:209 (1113) ، الـلسان (حَظَا).
(2) مجمع الأمثال 1:209.
(3) همهم الهمام 2:261.
والمتاز المثل بالإيجاز والاختصار من حيث الألفاظ والتراكيب، وفي المثل مـ
جانب آخر، نرى أن المثل فيه دلالـة على قوة الألفاظ وجزالتها وفـحوى دلالتهـا،
فقد ربط ضارب المثل بين علاقة صاحب الحظ بما يريد، ومن تعذر عليه الأمر
بـربط علاقة الكنات مع بعضهم، وكان المثل يصور حالة اجتماعيـة يعيـشها
الناس، ويتصورون وجود مثل هـذه الحالة بينهم، وهذه الحالة صعوبة التعامل مع
الكنات.
وأما الناحية البلاغية التي تضمنها المثل فهي الاعتماد على أسلوب الطبقـاق، فقد
طبق المثل بين كلمتي: "صلفين و حظبيين"، وفي مثل هذه المطاـبة بيان الفرق
بين من كان له منزلة عند الآخرين، ومن فقد هذه المنزلة، ومن جانب آخر من
كان يسعى لطلب أمر حصل على بعضه، وتعـسر عليه البعض الآخر، فربما
وقعت المقارنة بين حصول أمر ارتِهن بشرط يسير، أو طلب شيء ارتِهن بشرط
عظيم، فلا يتأتى حصوله لصعوبته.
ولا يخفى ما لدور الموسيقى الصوتية الواردة في كلمتي (حظبيين و صلفين) مـن
إثارة الانتباه للسامع.
وهل المثل قام على حقيقة اجتماعيـة صالحة لكل زمان ومكان، أعني حظوـة
البنات عند آبائهن، وانتقاء هذه الحظوة عند تحولهن إـلى كـنـات. ولـولا هـذه
الحقيقة القائمة ما كان هذا المثل.
الحديث ذو شجون (1):

في معنى مادة شجن، يقول صاحب اللسان : "والشجْن : الْهَمَّ والجُزْنَ،
والجمع أَشْجَنُونَ وشْجُونَ، شَجِن بالكسر شَجَنا وشْجُوناً، فهو شَجِن وشْجُن وشْجَنَ،
وشَجِنَ الأمرُ شَجَنَّا وشْجُونَ وشْجَنَ أَحْزَنَهُ. (2)

وهذا المثل يُضرب في الحديث يُذكر به غيره، أول من قاله ضبّة بن دُ. قال الميداني : "كان لضبّة ابنان يقال لأخدهما سعد ولآخر سعيد، فنفرت إبْل
لضبة تحت الليل، وَفَجَّه ابنه في طلبه، ففترقا فوجدها سعد فردها، ومضى
سعيد في طلبه، فلقيه الحارث بن كعب، وكان على العلم بُردان فسأله الحارث
إيماها، فأبى عليه، فقتله وأخذ برديه، فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحشلت الليل
سوادا قال: أسد أم سعيد؟ فذهب قوله مثلا يُضرب في النجاح والخيبة، فمكت
ضبط بذلك ما شاء الله أن يمكت، ثُمّ إنه حَجّ فوافى عَكْاظ، فلقى بها
الحارث بن كعب، ورأى عليه يردن ابنه سعيد، ففرهُما، فقال له: هل
أنت مخبري مـا هذان البـردان اللذان عليـكم؟ قال: بلِي،

(1) مجمع الأمثال 197:1(1044)أمثال العرب ص 47، تمثال الأمثال 1:291:29، جمهرة الأمثال ص
777، زهر الأمك 2:102:3، فصل المقال ص 67، العقد الفريد 3:85:3.
(2) لسان العرب (شجْن).

________________________

الحديث ذو شجون (2):

في معنى مادة شجن، يقول صاحب اللسان : "والشجْن : الْهَمَّ والجُزْنَ،
والجمع أَشْجَنُونَ وشْجُونَ، شَجِن بالكسر شَجَنا وشْجُوناً، فهو شَجِن وشْجُن وشْجَنَ،
وشَجِنَ الأمرُ شَجَنَّا وشْجُونَ وشْجَنَ أَحْزَنَهُ. (2)

وهذا المثل يُضرب في الحديث يُذكر به غيره، أول من قاله ضبّة بن دُ. قال الميداني : "كان لضبّة ابنان يقال لأخدهما سعد ولآخر سعيد، فنفرت إبْل
لضبة تحت الليل، وَفَجَّه ابنه في طلبه، ففترقا فوجدها سعد فردها، ومضى
سعيد في طلبه، فلقيه الحارث بن كعب، وكان على العلم بُردان فسأله الحارث
إيماها، فأبى عليه، فقتله وأخذ برديه، فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحشلت الليل
سوادا قال: أسد أم سعيد؟ فذهب قوله مثلا يُضرب في النجاح والخيبة، فمكت
ضبط بذلك ما شاء الله أن يمكت، ثُمّ إنه حَجّ فوافى عَكْاظ، فلقى بها
الحارث بن كعب، ورأى عليه يردن ابنه سعيد، ففرهُما، فقال له: هل
أنت مخبري مـا هذان البـردان اللذان عليـكم؟ قال: بلِي،

(1) مجمع الأمثال 197:1(1044)أمثال العرب ص 47، تمثال الأمثال 1:291:29، جمهرة الأمثال ص
777، زهر الأمك 2:102:3، فصل المقال ص 67، العقد الفريد 3:85:3.
(2) لسان العرب (شجْن).
لقيت غلامًا وهمًا عليه، فسألته إياهما، فأبى علي فقتله، وأخذت برديه هذين، فقال ضبة: سيفك هذا؟ قال: نعم، فقال: فأعطني أنظر إليه، فأتي أظنه صارمًا، فأعطاه الحارث سيفه، فلما أخذته من يده هزه، وقال: الحديث ذو شجون، ثم ضربه به حتى قتلته، فقال له: يا ضبة أفي الشهر الحرام؟ فقال:

سبق السيف العذل، فهو أول مُستطاع عنه الأمثال الثلاثة." (1)

قال الفرزدق في ذلك:

لا تأمنن الحرب إن استعارها كضبة إذ قال: الحديث شجون (2)

وقد ورد في بعض المعجمات: الشْجُن بالتكسج واحد شجُون: الأودية، وهي طرُقُها، والشاجنة واحدة الشواجن، وهي أودية كثيرة الشجر، ومن هنا يمكن النظر إلى أولى اللغات الدلالية البيانية التي حملها المثل، وهي ورود التشبيه فيه، حيث شبه مثل الحديث المشتغل الطريق المتداخل، بصورة الوادي المتشعاب الطريق الكثير الشجر، وكأن الالتفاف الواقع بين طرفي الصورة يوحي بعمق التداخل بينهما، فإذا ما دخلت في حديث متشعب طويل لن تعرف نهايته، ففتح ذلك الحديث الطريق المتداخلة في الكلام، فكأنك دخلت في وادٍ كثرت فيه الطرق

(1) مجمع الأمثال 1:197.
(2) ديوان الفرزدق 2:333.
وتشعبت فلا تعرف نهائته، والعمق في الصورة الفنية ودقتها يوحي بدقة المثل،
فقد صورها المثل بالمصورة التمثيلية ليستجليها العقل، ويعرف قرارها.
ووقع المثل جملة اسمية مصدّرة بالمصدر للفت النظر إليه، ثم للإشباع عنه
بالمتضادتين، ليبقى النظر مصوبًا إلى صدر الجملة، وإلى ما سيُخبر عنه.

خطب يسيّر في خطب كبير (1):

الخطب الأمر الشديد، وهذا المثل قاله قـصير بن سـعد اللئـمي لـجذـيمة بن مـالك بن
نصر الذي يقال له: جذـيمة الأبرش وـجذـيمة الوـضـاح، العرب تقول لـلذي بـهـ
البرّس: به وضّح، فتanager من ذكر البرّس، وهذا المثل يضرب لأمر يبدو في
ظاهرة الحسن، ويدو سهل المنال، ولكن صاحبه يخفى وراءه شيئًا عظيمًا.
وقصة المثل أن جذيمة كان ملكًا ماعلي شاطئ الفرات، وكانت الزبّاء ملكة
الجزيرة، وكانت تتّكل بالعربية، وكان جذيمة قد وترها بقتتل أبيها، فملتـا
استجتمع أمرها، وانظم شمل ملكها، أختفت أن تغزو جذيمة، ثم رأيت أن تكتب
إليه أنها لم تجد ملكة النساء إلا قبها في السّماع، وضعّفًا في السلطان، وأنها
لم تجد لملها موضعاً، ولا لنفسها كفناً غيرك، فأقبل إلى لأجّم ملكي إلى
ملكك، وأصلِ بلادي ببلادك، تريد بذلك الغذر.

---
(1) مجمع الأمثلة (233(1250)، المستقصى 74:2.
فلما أتي كتابه جذيمةً، قدم عليه رسوله، استخفه ما دعته إليه، ورغب فيما أطمته فيه، فجمع أهل الهـا والرأي من نقاته، فعرض عليهم ما دعته إليه، واستقر رأيهَن على أن يسير إليها، فيستولي على ملكها، وكان فيهم قصير، وكان حازمًا أثيرًا عند جذيمة، فخالفهم فيما أشاروا به، ثم قال لجذيمة: الرأي أن تكتب إليها، فإن كانت صادقةً في قولها، فلتُقبل إليك، وإلاً لم تمكنها من نفسك، ولم تقع في حياتها، وقد وترتها، وقتلت أبها، فلم يوافق جذيمة ما أشاربه. ودعا ابن أخته فاستشره، فشجعه على المسير، واستخف جذيمة عمرو بن عدي على ملكه وسلطانه، وجعل عمرو بن عبد الجن معه على جنوده وخيوله، وسار جذيمة في وجوه أصحابه، فلما نزل دعا قصيرًا، فقال: ما الرأي يا قصير؟ فقال قصير: "بيقة خلفت الرأي"، وقال: وما ظنَك بالزباء؟ قال: نخشى غدر القوم، واستقبله رسول الزباء بالهدايا، فقال: يا قصير كيف ترى؟ قال: خطب يسير في خطب كبير، فذهبت مثلا. وبعدها استقبلت الزباء الملك، في حديث طويل انتهى بقتل جذيمة. (1)

ولعل ما دعا إلى إطلاق هذا المثل أنه رأى في ثاقب نظره أن أمرًا يسيرًا يقابله، في إطار أمر كبير ينتظره، فهان عليه الأول مع تصور الآخر، فهذا المثل يضرب لكل من يواجه أمرًا أمرًا فيستهله في مقابل ما ينتظره من أمر عمري وخطب جليل.

(1) انظر تفاصيل القصة في مجمع الأمثال 233:1 وما بعدها.
وأول ما يطالعنا في هذا المثل من اللفظات البيانية أسلوب الطبق الطوارق في المثل من قوله: (يسير، كبير) فقد طابق المثل بين الأمرين ليسلط الوضع على الفرق بينهما، فإن كان الأمر كما يُخيل بالظاهر يسيرًا، فهو يحمل في طياته الأمر العظيم الجليل.

وهذا ما أكده صوت اللنين (الباء) الوارد في كلمة يسير، وما يحمله من السهولة والخفة في النطق، ليفيصب صوت الوقف (الكاف) في كلمة (كبير)، لنقف عنده ونتأمله.

وقد استعمل المثل أيضًا أسلوب المقابلة في قوله: (خطب يسير في خطب كبير) فالمقابلة بين الصورتين اللتين حملهما المثل وضحت الفرق بينهما، لتخرج بذلك الصورة من الحيز الأدنى لها بوجود الطبق، إلى المداركة الكبرى فيها بوجود المقابلة، فقد دعمت المقابلة الصورة الواقعة فيها، لتشمل كل الحالات الجزئية فيها.

وفي اجتماع الطبق مع المقابلة مزيد من الإيضاح للصورة الواردة في المثل، لتشمل شاهدة على غيرها من الصور.
"ومن الممارسات اللغوية الاستخدام البارز للأسماء الجامدة في حالة تقابل، ولا
سيما في الأمثال الحكمية، مما يشير إلى ملاءمة استخدام الأسماء الجامدة لـسياق
الحکمة التي تتناول الثابت في حياة الإنسان (1)."

وهذا صناع المثل السابق، حيث وضح حکمة متبعة في الحیاة، ألا، وھی أن
الخطب البیسیر ماله إلى خطب كبير، وهذا ما أراده قصير من إيراد تلك الحکمة
لوعظ جذبیة.

أما النواحي اللغوية التي تبدو في المثل، فهي ورود المشتقات، فقد استخدم
المثل الصفة المشابهة باسم الفاعل في قوله: (بیسیر)، ودلالة الصفة توجی بـ ما
وقع عليه الموصوف وهو الخطب، وما وقع فيه الوصف فقد دل على الثبات
والاستقرار، فورود الصفة يوضح عمق الصورة التي كان يراد منها الغد،
فالغدر واقع لا محالة بوجود الصفة الثابتة.

وأما الخبر وهو (خطب) فقد زاد في إيضاحه وتفسیره شبه الجملة (في
خطب)، فما وضح الخطب الأول وإن وقع موصوفا بكلمة بیسیر، وشبه الجملة
في خطب كأنها جاءت تعطى مزيد الإيضاح والبيان.

(1) الخصائص الأسلوبية للمثال ص 209.
أخلاق من جوف حمار (1):  

هذا المثل ضربته العرب في الخراب والخلاء.

وأما قصة هذا المثل فقول صاحب اللسان (2): "وجوق الحمار واد منسوب إلى حمار بن مُؤْبَلَع، رجل من بقايا عاد، فأشرك بالله، فأرسل الله عليه صاعة أحرقته والجوف، فصار ملعبة للجن، لا ينجرأ على سلوكه، وببه فسر بعضهم قولاً:  

وخرج كجوف العير قسر مصنعة
أراد كجوف الحمار، فلم يستمتع له الوزن، فوضع العير موضعه، لأنه في معناء، وفي التهذيب قال امرؤ القيس:  

وواد كجوف العير قسر قطعته
وأما الحمار فقد اختل في تفسيره، فقال القوم: "هو رجل من عاد، وجوفه: واد كان يحله، ذو ماء وشجر، فخرج بنوه يتصيدون فأصابتهم صاعة فأهلكتهم". (3)  

(1) مجمع الأمثال 1:257 (1364)، المستقصى 1:109.
(2) اللسان مادة (جوف).
(3) مجمع الأمثال 1:257.
فَوْضَى الأَصْمَعِي قَول امْرَأَةِ الْقِيسِ (1):

وَوَادٌ كَجُوْفِ الْعِيرِ قَـفْرٌ قَطَعْتُهُ

بأنَّهُ الحمارُ، وَجَوْفُهُ بِمنْزِلَةِ الْوَادِيِ القَفْرُ لَا مَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ فِيهِ.

وَبِرِىَ المِيْدَانِ أَنَّ اسْمَ هَذَا الْرِجَالِ القَائِلِ لِمَثْلِهِ لَيْسَ حَمَارًا، وَرَبْما يُؤْيِدُ هَذَا

الْقُولُ مَارِوًى فِيْهِ قَالَ: "هَذَا قَوْلُ هَشْامِ الْكُلِّبِيِّ. وَقَالَ غَيْرَهُ: لَيْسَ حَمَارُ هَذَا اسْمُ رِجَالٍ، بَلْ هُوَ الْحَمَارُ بَعْيْنِهِ، وَاحْتِجَّ بِقَوْلِهِ بِقَوْلٍ: "أَخْلِى مِنْ جُفْ

الْعِيرِ" قَالَ: "وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْحَمَارَ إِذَا صَيَدَ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مَّا فِي جُوْفِهِ بَلْ يَرْمُيَهُ، وَلَا يَؤْكِلُ. (2)

وَقَدْ بَدَأَ المِيْدَانِ فِي مَسْتَهْلِكِ شَرْحِهِ لِلْمِثْلِ بِقَوْلِهِ: "هُوَ رِجَالٌ مِنْ عَادٍ، وَأَمَّا

فِي خَتَامِ السُّرْحِ فَقَدْ نَقَلَ المِيْدَانِ قَوْلَ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّ اسْمُهُ "حَمَارُ بَنِ مُؤْيِل"،

وَلَعْلَثُ التَّمْرَةَ مَعْلَهُ الْبَاحِثِ مِنْ نَقَلِ كَلَامِ المِيْدَانِ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ بِاسْمِهِ، وَلَيْسَ

الْعِبْرَةَ بِإِسْمٍ المَضْرُوبِ فِيهِ الْمِثْلِ، وَإِنَّمَا جَوْرَاءِ ضَرْبِ الْمِثْلِ بِالْحَمَارِ فِي هَذَا

الْمَوْطِنِ لِجَامِعِ الْاِشْتَراكِ وَالْتَشْبِيْهِ بَيْنِ الْحَمَارِ أَوِ الْرِّجَالِ ذَاتِهِ، فَقَدْ نَقَصَ عْقِلُهُ،

(1) دَيوَانُ امْرَأَةِ الْقِيسِ صُ ١٠٨. وَقَدْ وَرَدَ الْبَيْتُ فِي دَيوَانِهِ بَلْفَظَ :

وُخْرِيَ كَجُوْفِ الْعِيرِ قَـفْرٌ مَّضْنُوْنَاء قَطَعْتُ بِسَامِ صَاحِبِ الْوَجْهِ حَسَنٌ

الْخَرْقُ: الْأَرْضِ الْوَاسِعَةَ، السَّامِيَ: الْفَرْسُ المَرْتَقِعُ، السَّاهِمُ: الْقَلِيقُ لَحْمُ الْوَجْهِ

(2) مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ١:٢٥٧.
وخلاً من الحق والنزع، فشابه الحمار في جوفه، حيث لا ينفع ولا يستفاد منه في أي حال من الأحوال، وقد وردت كلمة الجوف في المعجم بمعنى: القلب، وما وعنى وحفظ من معرفة الله تعالى.

وهذا المثل قد ورد على وزن أفعال، ويمكن الاستدلال من خلال هذه الصيغة على وجود المقارنة بين من ضرب فيه المثل والحمار، وقد ساء مورد من ضرب فيه المثل، لأن منزلته فيما فعل من قبح وكفر وانعدام الفائدة، فقد شابه الحمار في عدم النفع وقت الحاجة للانشاع منه، في الطعام أو غير ذلك مما في جوفه.

و"أفعال إذا كانت للتفضيل، أكثر تخصيصًا وتحديدًا من بين سائر أبنية الاسم، فاختراق العربيّة له، مما يسهل تركيب الجملة، والتعبير عن الأفكار المشكلة بالتركيبات المشابهة؛ مثال ذلك "هذا أكثر من أن يُحصى"، و "أنتم أحبّون إلى هذا"، ولا يوجد مثلهما في سائر اللغات السامية".  

وإذا يظهر اختصاص هذه اللغة الشريفة دون غيرها بأفعال التفضيل، ولا يخفى وجود التراكيب المتشابهة في اللغة، ولذا؛ كان لابد من وجود مميز للتفريق بينها.

وقد احتلت صيغة أفعال في أمثال الميداني كمثّل نسبيًا كبيرًا، بدلالة أنه أفرد لهما بابًا خاصًا بعد كل حرف، وعنون هذا الباب بقوله: "ما جاء على أفعال ".

(1) التطور النحوي لغة العربية ص 104.
والملاحظة لهذه الصيغة، يجد بوضوح أنها تتضمن تركيب المثل، وتقع نكرة غير مضمفة.

وإلا تلاحظ أيضًا أنها تشتقت من البيئة المحيطة حول المصنف، وقد كثرت الأمثال الباردة على وزن (أفعال) حتى ألقى المصنف بكل حرف من الحروف، ما جاء منه على وزن أفعال.

"وقد أفادت اللغة من هذه السمة الدلالية في اسم التفضيل، فطرّعته ليدل على تجسيد صفة في شيء ما بفضيله على ما عُرف بها أو شهر، فقيل: أبعد من النّلغ، وأقلى من الحبارة (1).

وقد ورد جملة من الأمثال التي استعملت صيغة المفاضلة، على خلاف القاعدة الصرفية؛ لأن وزن اسم التفضيل منها قد صبغ من أفعال مبنية للمجهول، ومنها قولها: "أجن من ذقة (2)."

وبهذا تكون الصيغة السابقة، قد خالفت القاعدة الصرفية؛ لأنها صيغت من الفعل ( pensar) وهو فعل مبني للمجهول، والأصل قوله: هو أشد جنونًا.

وفي المثل دقة التصوير وجماله حيث ضربت العرب المثل مستعملة من الحمار جوحه، وفيه دالمة على عدم الانتفاع من الفجوف في أي حال من الأحوال، فكلما قلبت الأموار لمحاولة الإفادة من الفجوف، لا تجد في ذلك.

---

(1) المغني الجديد في علم الصرف ص 284. 
(2) مجمع الأمثال 187:1.
وهذا مثل مستند من البيئة، فهو مأخوذ من بعض الدواب التي كانوا يعتمدون عليها، وما كان يفعل بهذه الدابة من إخلاء جوفها، فلا يبقى فيها شيء، ولا يقع منها نفع.

وتزيد شبه الجملة المكونة من الجار والمجرور الواردة في المثل "من جوف" لتشمل دلالة بيان الجنس المضروب فيه المثل، فالخلاء والخراب لانتفع منه، فكل عمل باطل، أو قول باطل، طابق هذا الجوف الفارغ.

وأما وروى التركيب الإضافي في قوله جوف حمار، فقد ورد على سبيل التخصيص، فقد تم تخصيص جوف الحمار دون سائر أعضائه، لأن الجوف موطن النفع عادة، ومحط الاهتمام، فإذا كان موضوع النفع ومحط الاهتمام لاخير فيه، فمن باب أولى أن يكون الجسد كله لانفع، ولا خير فيه وقت موته.

وإذا ما عمق الناظر البحث في كلمة أخيل، وجد فيها من الدلالة على الفراعمـا بجد، فالخلاء فضاء لانتفع منه، فما قيمة الشيء فارغًا؟
دع المرّاء وإن كنت محقًّا (1):

يُضرب المثل في ترك المماراة والمجادلة مع الآخرين، حتّى لو كان الإنسان على صواب ومجادله على خطاً.

" والمرأة: طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقيقر الغير." (2)

" ويقال: ماريته أيضا إذا طعت في قوله تزيفا للقول، وتصغرنا للقائل، ولا يكون المرآة إلا اعتراضاً، بخلاف الجدل فإنه يكون ابتداء واعتراض، وامتري في أمره شكل، والاسم المرهّب بالكسر". (3)

" المرأة: الجدل، والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة." (4)

ويظهر من خلال قول صاحب المشابح أن ثمة فرقاً بين الجدال والمرأة، فالمرأة لا يُقصده منه إلا الطعن في آقوال الآخرين، لغرض تزيفة القول، وتحقيقر شأن القائل، أما الجدال فيتحتم المناقشة الحادة أو الاعتراض، من غير الطعن في كلام الآخرين.

(1) مجمع الأمثال 1:274 ، من أمثال المولدین.
(2) التعريفات 1:266 .
(3) المصير المثير 2:570.
(4) تاج العروس (مرى).
وأيًا كان الأمر، إن كان جدلاً أو كان مراءاً، فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم حرمته في حديثه الشريف: "ما ضل قوم بعد هدي إلا أتوا الجدل، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ضربوا ذلك إلا جدنا بئله هم قوم
(1) خصِمون".

والمعنى المقصود من الآية: "إنهم قد علموا أنك لا تريد منهم أن ينزلوك منزلة المسيح". (2)

وبهذا بين صلى الله عليه وسلم حرمة الجدل، وبين خطورته، وأنه سبيل مـن سبيل الغي والضلال، فكيف بالمراء الذي يجعل حقائق الأمور كذبًا؟.

والحديث بالحديث يذكر، فالمراء في القرآن الكريم، كفر بواح، فلا خلاف في نزول القرآن على أحرفه السبعة، وإنما الخلاف في تأويله، وفي ذلك قال ابن الجوزي: "المراء في القرآن كفر، قال أبو عبيد: ليس وجَّة الحديث عِنْدَهُ الاختلاف في التأويل بل فـي الألفاظ أن يقول الرجل على حرف، فيقول الآخر ليس هكذا، ولكنه على خلافه، وقد أنزلهما الله تعالى جميعاً بدليل قوله: "نـزل القرآن على سبعة أحرف" فـيذا جُدَد أحدهما يُثبتَهَا الآخر، وكلاهما منزل،

(1) الزخرف : 58.
(2) المستدرك 486:2.
(3) معاني القرآن 377:6.
فذلك يخرج إلى الكفر. (1)

وأما الآية التي وردت في قوله تعالى: "فلا تُمارِ فِيهِمْ إِلا مَرَأ ظَاهرًا وَلا تَسْتَفَتْ فِيهِمْ مَنْهُمْ أُحَدًا"، فقد وضح الطبري معنى المراة في الآية، وهو عدم الخوض في عدد أهل الكفّ أو عدتهم، بل يكتفى بما قَدَّمَ الله في كتابه عنيهم؛ لأن العبرة في قصة البعث والنشور، ولا فائدة من البحث في عددهم أو غيره من المسائل. (2)

والآيات التي وردت فيها كلمة المراة كثيرة. (3) الناظر فيها يرى بوضوح أنها تختص بأمور عقديّة بحتة، وبالتالي فلا فائدة من المماراة أو الجدل فيها، وفي هذا دليل آخر مستقى من القرآن الكريم على حرمية المماراة أو الجدل، فكل الآيات تدل على ذلك بوضوح. وأول ما يطالعنا من اللوائح البيانية في هذا المثل لفظة المراء عينها، فقد ورد في المعجمات أن من معاني المراء حلب ضرع الشأة لاستخراج ما فيها من اللبن، وبهذا يتضح أن المماراة والمجادلة يقع فيها

---

(1) غريب الحديث لابن الجوزي 2:355.
(2) الكفّ.
(3) انظر تفسير الطبري 8:205.
(4) منها آيات: الحج 55 ، هود 109، السجدة 23، فصلت 54، مريم 34، الحجر 63، النجم 12.
أن كل طرفٍ من الأطراف المتجانلة يمرى صاحبه ليستخرج ما عنده من الآراء والكلام، وعلى ذلك وقعت الصورة الفنية في ذلك، حيث شبه المثل المتجانلين بصورة رجلين، كل منهما يمرى صاحبه ليخرج ما عنده من القول والمجادلة.

وأما اللفظية اللغوية التي تضمنها المثل فهي ورود المصدر والمشتق فيه، فأما المصدر فوقع في لفظة المراه، وهو ما يدل على الاشتراك بين الطرفين أو الجانبين؛ لأن المراه إما يقع من خلال التواصل في الكلام والمحادثة، وبهذا دل المصدر على وجود الحدث الذي يقع من الجانبين.

وأما المشتق فهو لفظة محق، فقد دلت على امتلاك الحق لصاحب، ومع ذلك يجب التنزل عن هذا الحق لغرض الاتباع للأمر المنشود من النهي عن المراه.

وقد تضمن المثل أيضًا أسلوب الأمر المزدوج بالشرط، في قوله: (دع...
وقوله: ( وإن ) ، فقد حمل الأمر صيغة الواجب في ترك المراه، وقيدته بالشرط: وإن كنت محقًا، والمعنى ولو كنت صاحب حق اتركه، فترك المراه لم يكن صاحب حق في المناقشة والتمراة أولى.

ويعد الأمر من الأساليب الإنشائية الطبيبة التي تكثر في الأمثال، إذ كثرت الأمثال التي تصدرها الأمر؛ ولذا يخرج أسلوب الأمر من الحلّة التي وقع فيها، وهي الوظيفة القائمة على الإيجاب، ليفيد المعاني البلاغية المتعددة، ومنها
النصح والإرشاد، وهذا ما ظهر في المثل السابق، حيث نهى عن الجدل، وأمر
بتلكه، ولو كان المحادث محقاً.

ومن الأساليب الدلالية الأسلوبية أيضًا الشرط، حيث عدّه بعض الباحثين أسلوبًا
من القضايا الأسلوبية، والتي أثارت اهتمامدرسين الوحوي والبلاغي في سياق
الجمل المركبة. (1)

وقد تضمن المثل السابق الشرط في قوله: و(إن كنت محقاً)، ويظهر في هذا
عمق الدلال الأسلوبية، حيث ضمّن ترك المراه والجدل؛ ليخرج بالسامع من
رتبة الموقف الوعظي، ويلزمه بترك الجدل من جانب، وبوابتي له ترك الجدل
في كل الأحوال، فكيف بمن كان محقاً في جدله؟

ذهبوا أيدي سبأ، وتفرقوا أيدي سبأ (2):

هذا المثل يضرب للقوم الذين تفرقوا تفرقًا لا اجتماع معه.

وأصل المثل ماروى الميداني: من أن فروة بن مسيك، قال: أتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أخبرني عن سبأ أرجل هو أم امرأة،
فقال: هو رجل من العرب، ولد عشيرة، تيامن منهم ستة، وتشام منهم أربعة،

(1) انظر اللغة الشعرية ص168.
(2) مجمع الأمثال: 275 (1454)، شمار القلوب ص377، زهر الأكم:16:3، اللسان (سبيا).
ورغم الذين أرسل عليهم سيل العرَم، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من أودية
اليمين، فردوهم رفداً بين جبلين، وحبسوا الماء، وجعلوا يُّسقون، فأخصبوا،
وكثير أموالهم، فلمما كتبوا رسولهم بعث الله جِرِّداً نقبت ذلك السلم حتى
انتقض، فدخل الماء جنتيهما فغرقهما، ودفن السيل بيوتهم، فذلك قوله تعالى:
"فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمَ." (1)

وهكذا تفرقت سبأ في الأقضية، فسار بعضهم إلى مكة وأقاموا بها، ولحق
بعضهم بقصر عمان المشيد فكانت أردنع، وذهب بعضهم إلى الأراك فكانت
خزاعة، وبعضهم لحق ببيت فكانت الأوس والخزرج، وتوجَّه بعضهم إلى
بصير الشام، وهم آل جفنة من غسان، ولحق بعضهم بأرض العراق، وهم آل
الجمعة الأبرش كانوا بالحيرة (2).

وعند النظر في المعجمات اللغوية، فقد وقع للباحث أن سبأ اسم لرجل، وعليه
ما وقع في اللسان حيث قال: "سبأ، اسم رجل يجمع عامَّة قبائل اليمن، يُصَرَفُ
على إرادة الحيّ، ويُترك صرقةً على إرادة القبيلة، وفي الالتزام: "لَمَّا فَكَّدَ كَانَ
لسبأ في مسكنهم" وكان أبو عمرو يقرأ لسبأ قال:  

(1) سبأ 16.
(2) انظر في ذلك مجمع الأمثال 275:1 وما بعدها.
من سبأ الحاضرين مأرب إذ
ويقولصاحب مفردات القرآن: "وقيل: العرم الجرذ الذكر، ونسب إليه السيل
من حيث إنه نقيب المسناة." 

ويظهر أن سبأ المذكور في المعجمات، أو في حديثه عليه السلام رجل، كان
يحكم قومه وقود عاقب الله هؤلاء القوم بسبب الشرك الذي وقعوا فيه وكفر
النعم، فبعث الله عليهم الجرذ لينقب عليهم السد بسبب ما فعلوا. وقد ضربت
العرب المثل في القرفة؛ لأنه لم يذهب الله عنهم جنتهم، وغرق مكانهم تشتتوا
في البلاد.

وعند النظر في الآية الكريمة الواردة في سورة سبأ مسأر قوله تعالى: "
فأعرضوا فأرسلنا عليهم سبل العرم وبدلهنَّاهم يجتثهم جنتين ذواتي أكمل
ونقل وشَيئٍ من سدر قليل". (3) نجدها ذات صلة بمضمون المثل السابق، حيث
ربط الله تعالى بين الإعراض وزوال النعمة، وبين الحمد ودواهم العمة، فـدوار
النعم مرهون بشكرها، وزوال النعم مرهون بكفرها، فلم يغضب الله عليهم شنتهم
في البلاد، ودمر عليهم مسانكمهم.

(1) لسان العرب (عمر).
(2) مفردات القرآن 1:595.
(3) سبة 16.
وعند النظر في الناحية الدلالية للمثل، يظهر التشبيه فيه، وذلك قولهم ذهبوا أديدي سبأً أي مشتتين فقد شبهوا بأهل سبأ لما شنتهم الله في الأرض، فأخذ كل طائفة منهم طريقاً على حدة، فقد شبه القوم الذين تشتتوا عن ديارهم وتفرقوا تفرق لا اجتماع بعده بصورة قوم سبأ الذين تشتتوا وتفرقوا تفرق لا اجتماع بعده.

ويظهر أن هذا المثل يضرب للقوم الذين كفروا النعمه وأنكروها، فإذا ما قصد المرء الكلام على قوم بالثور والهلاك والتفرق بسبب كفران النعم التي أعطوها،

قال: تفرقوا أديدي سبأ.

واليد تنزل في هذا المثل منزلة الطريق. وفيه دقة المثل العربي التي تستقي من قولهم أديدي سبأ، فدلالة الجمع فيها إشارة إلى التعدد والفرقة، ولم يأت المثل باليد مفردة لأن المفرد منها يوحي بالقلة، خلافا لما يشعره الجمع في الدلاله، فقد ذهبوا جميعاً.

أمّا الجملة الفعلية الأولى في المثل "ذهبوا أديدي سبأ فتوحي بأنهم ذهبوا مجتمعين في أصل الموضوع، ولم يقع بينهم الشتات حال الاجتماعية، ولكن الجملة الثانية من المثل "تفرقوا أديدي سبأ توحي بأنهم تفرقوا كلهم دون استثناء أحدهم، فكما اجتمعوا جميعا، فقد تفرقوا جميعا، وعند النظر في الضمير المتصل في قوله: ذهبوا وتفرقوا فإن الضمير العائد على المعنى الذهني المقصود يوحي بأن...
سياً كان يحكم من دونه من القوم، أو يصدق القول فيه أنه اسم لقبيلة، وبعده
القول فيه أنه اسم لموضع أو غيره.

رَبِّ أَخِي لَكَ لَمْ تَلَّدْهُ أَمْكَ(1):

وَهَذَا الْمَثْلُ يُضْرِبْ فِي رَجِلٍ أَحْسَنٍ إِلَيْكَ، وَعَدَّ نَفْسِهِ أَخَاهُ لَكَ بَأَفْعَالِهِ، عُلْمًا بِأَنَّهُ
ليس من صلب أبيك ومن نسبك.

وأول من قال المثل هو لقمان بن عاد. وقصته أنه أقبل ذات يوم يسير فأصابه
عَطْشٌ، فهَجَمَ عَلَى مَظْلَةٍ فِي فُنَائِهَا اِمْرَأَةٌ تَدَاعِبُ رَجْلًا، فاَسْتَسْقَى لقمان، وقال:
فِي بِنَا أَنَا كَذَّلِكَ إِذْ نُظْرِتَ إِلَى صَبْيٍ فِي الْبِيْتِ يِبْتَكَي فَلَا يُكَرَّثَ لَهُ، وَيَسَّقَى فَلا
يَسْقَى، فقال: إنَّ لَمْ يَكُن لَكَ فِي هَذِهِ الصَّبِيحَةِ حَاجَةُ دَفْعَتُمُوهُ إِلَى فِكْفُتُهُ، فَفَقَالَت
المرأة: هـوَابِنِي، ثُمَّ سَلَّلَاهَا عَنَ الْرَّجُل قَالاً: مِنْ هَذَا الصَّبَّاحِ إِلَى جَنْبِكَ، فَفَقَدْ
علمتُهِ لِيَسِ بِعَلُكَ؟ قَالَتْ: هَذَا أَخِيِّي! قَالَ لقَمَانُ: رَبَّ أَخِي لَكَ لَمْ تَلَّدْهُ أَمْكَ!
فَذَهَبَتْ مَثْلٌ(2).

(1) مجمع الأمثال 1:291 (1546) ، جمهورة الأمثال 1:425، زهر الأمثال 3:60، كتاب الأمثال ص 175.
(2) انظر تفاصيل القصة في مجمع الأمثال 1:291 وما بعدها.
وربما حمل هذا المثل أكثر من معنى، المعنى الذي أراده لقمان حين فاجأ المرأة بأمرها، ووضّح لها بأن هذا الرجل الموجود في بيتها ليس من أهل البيت كما ادعى.

ومعنى آخر شاع عند الناس واستقاض، وهو أن من الناس من لم تلد أملك في الحقيقة، ولكنه مع ذلك بمثابة الأخ الحقيقي لك، لما قدم وأحسن مك في تعامله وأخلاقه، وربما يستطيع استقاء هذا المعنى من خلال ما قدم لقمان لهانيء (زوج المرأة) من النصيحة، لأنه أصدق له نصيحة، وأعلمه بوجود غريب في بيته، لم يكن يعلم عن أمره شيئا.

وإذا أردنا أن نبحث في المعنيين، وأخذنا المعنى الأول الذي رمى إليه لقمان، وهو أن هذا الغريب ليس من أهل المرأة، ولا من قرابتها ومع ذلك ادعى أنه قريبها، فإن أول ما يطالعنا من اللفتات البيانية، استخدام النفي ففي قوله:(لم) فقد وضح باستخدام النفي أن هذا القريب الذي ادعت المرأة أنه قريبها ليس بقريب، وربما حمل المثل أيضا أسلوب استنكار وتعجب، تظهر دلالته من خلال السياق. ويوضح أيضا أن الأخوة الحقيقية ليست مقصورة على النسب والدم، وإنما ظهر لك إخوة آخرون، ليسوا من نسبك ودمك، ولكنهم بأفعالهم أضحوا كأخوة لك، فقد نفى أن تقصر الأخوة الحقيقية على قربة الدم فقط,
وإذاما توجد في مواطن أخرى بأفعال لانظهر في النسب، وهذا المنهج مسلوك بين الناس، وقد علمنا بوجود مواقف بين الناس، يتخلى فيها الآخ عن أخيه، ليسجل فيها الغريب موقف الآخ المفقود في هذا الموقف.
وإن هذا المظهر موجود في القرآن والسنة، حيث قال تعالى: "إِنّمَا الْمُؤَمِّنَوُنَ إِخْوَةٌ (1)". فقد سأى الله بين المؤمنين في الأخوة في الدين، وبين أنهم
أخوة لامن قربة رابطة دم ونسب، بل من رابطة أسمى وأرفع، وهي رابطة الدين.

وهذه الرابطة فقد بدأ واضحة وضوح شمس النهار في أفعال النبي عليه السلام، ومنها فعله في توحيد المهاجرين والأنصار، وإرساء قواعد المحبة والأخوة الحقيقية في المجتمع، فقد عمِّد عُمَّد هذه الأمَّة إلى المؤخاة بين المهاجرين والأنصار؛ ليعلَّم بذلك رابطة الدين على روابط جاهلية بدعية كثيرة، ولبيث بفعله عليه السلام، أن الأخوة الحقيقية ليست مقصورة على أخوة النسب.

"وربٌ للتكرير كثيراً، وللتقليل قليلاً، فالأولُ كقوله عليه الصلاة وسلام: "يا رَبّ كَاسِبِيْنِ فِي الْدُّنْيَا عَارِيْنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ " وقول بعض العثَّرٍ عند انقضاء

(1) الحجرات 10.
رمضان : "يا رَبَّ صَانِمَةٍ لَن يَصُومَهُ وَقَائِمَةٍ لَن يَقُومَهُ "، والثاني كقوله :

أَلَّا رَبُّ مُولُودٍ وَلَيْسَ لِهُ أَبٌّ وَذَٰلِكَ وَلَدَنِمْ يَلِدُ أُبْوَانِ

يريد بذلك آدم وعيسى عليهما الصلاة والسلام (1) ".

وفي المثل استعمل حرف (رب) ، بما يفيد التقليل ، والمعنى أن عدد الإخوة الذين يُـعَوَن كِـخُوَتٍ من النسب قليل.

وإذا ما دققنا النظر في الاستعمال التركيبي للملت فقد تضمن تركيبياً مزدوجاً هو التشبيه المصحوب بالنفي ، فرب حرف جر زائد ، أفاد معناه التركيبي في المثل التشبيه، فكمن أَخَاً كَثْبَهُ كَثاَكِي النسب ؟ إنهم بالنظر إلى المجموع العام للناس قليل ، فمنزلة التشبيه توجي بالقلة فيها ، إضافة إلى النفي المصحوب في العبارة ليثبت المعنى نفسه ، وهو قلة الإخوة المعدودين كَثاَكِي النسب .

وأما وجود شبه الجملة (لك ) فإنه يوجي بالاختصاص ، فقد خصصت شبه الجملة المصحوبة بلفظ اللام بتخصيص الآخ لك دون غيرك .

وقد طابق المثل نظام العربية وسنه في الاستعمال ، حيث استعمل المثل (رب ) مع الاسم النكرة ، وفي هذا مطابقة لنظام العربية، حيث اختص حرف رب بالدخول على النكرات .

(1) أوضح السالك إلى أَلْفُهِ أَبِنَ مَالِكِ ٥١:٣.
ربّ رَمِينَةٍ مِنْ غَيْرِ رَّامٍ (1):

أول من قال هذا المثل الحكم بن عبّد يغوث المنبري.

وأول من قال هذا المثل يضرب فيمن رمي شيئا بالخطأ فأصابه. وقصة المثل هي أن الحكم كان أرمى أهل زمانه، واَلِى يمينا ليدبّحن على الغيَّبَ (2) مهاة، فحمل قوسه وكئنته، فلم يصنع يومه ذلك شيئا، فرجع كثيبيا حزينا، وبات ليلته على ذلك، ثم خرج إلى قومه، فقال: ما أنت صائغون فاني قائل نفساً، فإن لم أذبحت اليوم؟ فقال له الحكِّيَن بن عبد يغوث أخوه: با أني استبدل مكانها عشراً، من الإبل، ولا تقفي نفسك، قال: لا واللات والأعرى لا أظلم عائرة (3)، فقال ابنه المطّعم بن الحكم: يا أبي أحملني معك أرذّك، قال له أبوه: وما أحمِّل من جبين فشل، فضحك الغلام، وقال: إن لم ترها ميتي فاجعلني مكانها في الذبَّح.

(1) مجمع الأمثال 1:299 (1581)، جمهرة الأمثال 1:491، زهر الأمثال 3:38، العقد الفريد 4:84، الفتائح ص 143، فصل المقال ص 43، اللفظ (غيب).

(2) الغيَّب، المنحر وهو حبيّب بنى فخصَّص، وقال: هو الموضوع الذي كان فيه اللات بالطّابِف، أو كانوا ينحرون للات في بها، وقال: كلّ منحر بنى غيَّب. 

(3) العثرة والعتيرة شاة كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم، مثل ذبح وذبحة، وعثرة الشاة والظبيبة ونحوهما يَعْتَرِهَا عثراً، وهي عثرة: ذبحها، والعثرة أول ما يئذّب كانوا يذبحونها لألهتهم.
فانطلقنا فإذا هما بمهاد فرماها الحكم فأخلاقها، ثم مرت به أخري فرماها فأخلاقها، فقال: يا أبي أغني القوس، فأعطاه فرماها فلم يخطئها، فقال أبوي:

"رب رمية من غير راهم" (1)

والمعنى المقصود من المثل السابق أن الشخص قد رمى رمية فأصاب الهدف، وإن كانت هذه الرمية قد حصلت من راهم مخطئاً.

وأولما بطالعنا في هذا المثل لفظة (رب)، فرب يجوز أن يقال في لفظها رب وربة وربتهما، وقد ورد تخفيف الباء منها في القرآن الكريم، حيث وقع ذلك في قوله تعالى: "ربما يوذ الذَّين كُفَّراً لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ" (2).

وأولما بطالعنا من اللغات اللغوية في هذا المثل استعمال حرف الجر رابن فقد أفاد التكثير، وكما هو معلوم فإن حرف الجر رابن مما يفيد التكثير، وإما أن يفيد التقليل، ويعرف ذلك من خلال القرينة الواردة في سياق الجملة التي استعمل فيها، وإذا نظر الفاحص للمثل في استعمال رابن في هذا الموضوع، علم أنها أفادت التكثير؛ لأن هذه الرمية المرمية وقعت على غير المتوقع في علم المشاهد، ومع ذلك أصابت الهدف، فأطلقها مثلاً: رب رمية من غير راهم؛ لأنها على خلاف المتوقع.

(1) انظر مجمع الأمثال 299.
(2) الحجر 2.
ومن الاستعمالات اللغوية في هذا المثل أيضا مصدر المرة، فقد استعمل المثل مصدر المرة في قولة: (رمية)؛ ليدلل على أن هذا الرامي قد أصاب الهدف من الرمية الأولى، وفيه إشعار للسامع من إصابة الهدف من المرة الأولى، علما بأن المتوقع خطؤها، فجاء مصدر المرة ليؤكد على تلك الإصابة من الرمية الأولى.

وخطأ المشاهد للرمية الذي اعتقد أن رامي الهدف لن يصيبه.

وفي النظر إلى كلمة (غير) المستعملة في المثل، فإننا نلحظ أنها من الكلمات الموغلة في النكرة والإبهام، فلا يظهر معناها إلا إذا أضيفت إلى سياق الكلام يوضحها، وقد وضحها لحاق المثل: من غير رام.

وزيادة على ذلك فإن غير تدل على مخالفة ما بعدها لما قبلها، وفي ذلك مزيد الدهشة والعجب من الرامي الذي أصاب الهدف، فإن المتوقع منه عدم القدرة على إصابة الهدف، ومع ذلك أصابه لتأتي في المثل في موضعها الصحيح في الدلالة، ولتدلل على خلاف المتوقع فعلاً؛ لأن الرامي أصاب هدفه خلافًا لما يتوقع المشاهد أو السامع.

ومن المسائل المتعلقة بغير أيضًا أنها لا تعرف، فلا يقال الغير، وإنما يقال غير.

وتعرف غير إذا قصد بها معنى الآخرين، فقالوا: لا ننتظر لأمور الغير.
وقد تطرأ على صيغة (فاعل) عوارض صوتية تنشأ من ظاهرة إتلاف أو التقاء ساكنين، أو من ظاهرة إدغام. (1) وقد استعمل المثل هذه البنية التركيبية في قوله (رام)، حيث وقع فيها إتلاف بالحذف، حيث كان أصلها قبل الحذف (رامي)، ولكن لنقل الحركة على الياء حذفت للتخفيض، والتقاء الساكنين (الياء والتنوين) كان سببًا في حذف الياء.

فاسم الفاعل المشتق من الفعل رمي في قوله (رام)، قد صبغ اسم الفاعل من الفعل الناقص بحذف يائه، وتعويضها بثنوين العوض، ليبدل على الجملة المحدودة من خلال التنوين، وهذه الجملة التي تفهم دلالًا من خلال السياق العام للمثل وهي: آصابها الرامي، ليدمج البلاغة في الاستعمال التركيبي للمثل، لأن المحدود مفهوم ضمني دلًا عليه السياق الوارد في المثل؛ ليسجل منحنى بلاغيًا آخر وهو الحذف والإيجاز والقصر.

وبهذا أتم الجانب الصرف في قوله (رام) الجانب البلاغي في المثل الوارد في الحذف، لتتكامل البنية الترسيمية في المثل، ويدعم كل جانب من الجوانب البلاغية والصرفية الجانب الآخر ويقويه.

(1) المعني الجديد في علم الصرف ص 248.
سُقطَ في يَدِهِ (1):  

وقال السيوطي في المزهر : "سُقط في يده أي ندم (2)")، فهو مثل يُضرب لمن ندم.

وقال أبو عمرو: لا يقال "سُقط بالألف على ما لم يَسمَّ فاعلْه، وكذلك قال ثعلب، وقال الفراء والزجاج: يقال سقط وسقط في يده، أي ندم. قال الفراء:

وسقط أكثر وأجود (3).

وَهَذِهِ الْمَثْلُ يَذُكّرُنَا بِقُولِهِ تَعَالَى: "وَلَمْ يَسْقُطَ فِي أَيْدِيَهُمْ" (4). حيث بين الله تعالى شدة الندم والحسرة التي وقع فيها بنو إسرائيل، لعبادتهم العجل بعهد موسى عليه السلام، فلما وقعوا في حكم موسى عليه السلام علموا عِظَم الذنب الذي وقعوا فيه.

وَهَذِهِ الاستعمال اللغوي لم تعهده العرب قبل القرآن الكريم، ويشير السيوطي إلى ذلك بقوله: "سَقط في أيديهم نظم لم يسمع قبل القرآن، ولا عرفته العرب، ولم يوجد ذلك في أشعارهم، والذي يدل على هذا أن شعراء الإسلام لما سمعوه

(1) مجمع الأمثال 1:330 (1774)، اللسان (سقط).
(2) المزهر 205:2.
(3) انظر مجمع الأمثال 330:1.
(4) الأعراف : 149.
وَعَسَّتُوهُمْ فِي كَلَامِهِمْ خَفِّي عَلَيْهِمْ وَجِهَ الاِسْتِعْمَالِ، لَنَّ أَعَادُتِهِمْ لَمْ تَجْرِ بِهِ
(1)
وَفِي قُوَّهُ تَعَلَّىٌ: "وُلِّمَا سُقِطَ فِي أَيْدِيْهِمْ" يَقُولُ الشَّوَكَانِيُّ: "أَيْ نَدْمَوْنَ وَتَحِيّرَوا
عَدِّ عَاقَةَ مُوسِىٍّ مِنَ الْمَيْقَاتِ، يَقُولُ لِلنَّادِمِ المُتِحِيرُ: "فِي سُقِطَ فِي يَدِهِ قَالَ
الْخَفْشُ: يَقُولُ: سُقِطَ فِي يَدِهِ وَسُقِطَ، وَمِنْ قَالُ: سُقِطَ فِي أَيْدِيْهِمْ عَلَى الْبِنْاء
لِلفَاعِلِ غَمْثًا، فَالْمَعْنَى عَنْهُ: سُقِطَ الْنَّدْمِ، وأَوْلَاهُ أَنْ مِنْ شَأْنِ مِنْ أَشْتَدَّ نَدْمَهُ
وَحَسَرْتِهِ أَنْ يَضُعَ يَدَهُ غَمٌّا، فَتَصِيرُ يَدَهُ مُسَقَّطًا فِيْهَا
(2)
وَأَوْلَمْ يُطَالِعْنَا مِنَ الْلَّفَنَاتِ الْبِبَانِيَةِ فِي هَذِهِ الْمَثْلِ اِسْتِعْمَالُ الْمِجَازِ، فَقَدْ كَنَّى
الْمَثْلُ عَنِ النَّدْمِ الشَّدِيدِ وَالْحَسْرَةِ الَّتِي يَقْعُ فِيْهَا النَّادِمُ، بِصُوْرَةِ الْرَّجُلِ الَّذِي سُقِطَ
مِنْ يَدَهُ الشَّيْءِ، فَلاَ يُسْطَعُ الإِتِّيَانُ بِهِ تَأْثِرَةً أَخَرِىْ، فَكَأَنَّهُ وَضَحَّ صُوْرَةٌ مَا
يَحُصَّلُ فِي الْعِيْنِ وَتَرَاهُ الْعِيْنَ، وَإِنْ لَمْ يَكِنْ حَقِيقَةَ قَدْ حَصَلَ فِي يَدِهِ. وَلَنَّ النَّادِمُ إِذَا
مَا اِشْتَدَّ بِهِ النَّدْمُ عَضَّ عَلَى يَدَهُ غَمٌّا، فَتَصِيرُ يَدَهُ مُسَقَّطًا فِيْهَا، وَيَقُولُ الْطَّبْرِيُّ
فِي ذَلِكَ: "تَنْقُولُ الْعَرَبُ لِكُلِّ نَادِمٍ عَلَى أَمْرٍ فَاتِهِ مَنْهُ، وَأَسْلِفُ وَعَاصِجُ عَنْ شَيْءٍ
قَدْ سُقِطَ فِي يَدِهِ، وَأَوْلَاهُ مِنَ الْأَسْتِنَادِ، وَذَلِكَ أَنْ يَضُرِّبُ الرَّجُلُ
الْرَّجُلَ أَوْ يَصَرُّعُهُ فِيْرَمِي مِنْ يَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ لِيَأْسِرِهِ، فَيَكْتَفِقُهُ
(1) المَزْهُرِيُّ فِي عَلَومَ الْلَّغَةِ 2: 206.
(2) فَتْحُ الْكَدِيرِ 2: 361.
فالمرمي به مسقط في يدي الساقط به، فقيل لكل عجز عن شيء، وضيع
لعجزه متندم على ما قاله: سقط في يديه (1).
وربما حمل المثل دلالته أخرى، حيث شبه صورة الشيء الذي سقط في يده،
بصورة الشيء الذي وقع له ولم يحسن التصرف فيه في نفسه، ولمًا علم حقيقة
الأمر ندم على ما وقع منه، فكأنه سقط في يده شيء، ولم يحسن استغلاله فندم
وتحسر، فشيء ما يدور ويحصل في النفس، بما يقع في اليد فتى الأعين
المشاهدة.
وأما النواحي اللغوية التي تظهر في المثل فمنها استعمال الفعل المبني
لمفعول، فقد استعمل المثل لفظة (سقط)؛ لشعر بأثر الذي سقط، وأثر بناء
الفعل للمجهول؛ لأن الأمر لم يعد يستطاع الرجوع إليه تارة أخرى، لفواته وبعده
عن الإنسان.
وأما ذكر اليد فإن النادم يغضب على يديه ويضرب إحداهما بالآخرة تحسراً
كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: "وَيَوْمَ يَغْضُبُ الظَّالِمُ عَلَيْ يَدْنِهِ " (2)، وكما قال:
"فَأَصْبِحَ يُقَلِّبُ كَفِيهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا " (3)، وبهذا تلخص دقة الاستعمال القرآني
الذي سبق الاستعمال اللغوي، فقد عبرت الآية الأولى عن الندم بالعصب

(1) تفسير الطبري 36:6.
(2) الفرقان 27.
(3) الكهف 42.
على اليدين ؛ لأن الإنسان إذا ندم على ما فاته ، وت清香 الحسرة الشديدة ، عض على يديه ، وإذا ما أصيب الإنسان بندم وألم حسرة ، ضرب الأخماس بالأسساد حسرة على ما فاته ، وأما وجه الكلام في قوله تعالى : " فأصبيّ بقلبٍ كفّيٍّ على ما أتفق فيها " فهو الندم يحصل في القلب ، ويظهر أثره في الجوارح ، ولذلك استعمل تقلب الأيدي وضربها للدلالة على ما شعر فيه بالقلب ، ولأن يد الإنسان في بعض الأحيان لم تباشر العمل حقيقة ، ومع ذلك يسند إليها ما لم تباشره ؛ ليظهر أثر الندم على الإنسان ، وأن ذلك من كسب يده ، وقد درج هذا الاستعمال في التنزيل كثيرًا ، ومنه قوله تعالى : " ذلك بما قدّمت يداك وأن الله ليَسِبَّل الْعَفْوَ (1) ، ومعلوم بالضرورة أن الإنسان لا يأتي كل أعمال السوء والفحشاء بيديه ، وإنما يأتي بها من خلال الجوارح كلها عامة .

أشار من غرباء البنين (2) :

هذا المثل ضربته العرب في التشاؤم ، وقال الزمخشري : ليس في الأرض شيء مما يتشاءمون ، إلا والغرب عندهم أندك . (3)

(1) الحج : 10.
(2) مجمع الأمثال : 383 (2042).
(3) انظر المستقصى في أمثال العرب : 183.
وقد سماه العرب غراب البين؛ لأن الغراب إذا بان أهل الدار للنَّجعة وقَع في موضع بيوتهم يتلمس، فتشاءموا به وتطيروا منه، إذ كان لا يعتري منازلهم إلا إذا بانوا فسموه غراب البين.

ومن أجل تشاؤم العرب بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب.

وذكر بعض أهل المعاني أن نعيب الغراب يتطير منه، ونغيقه يتفاعل بهـ،

وأنشد قول جرير:

إِنَّ الغَرَابَ بِمَا كَرَهَتْ لِمُولَعَّ
لِيْتُ الْغَرَابُ غَدًا يَنْعُبُ دَائِيًّا

قال: ويقال: "نَعَيْبَ الغِرَابَ نَعِيْقاً" إذا قال: غيق غيق، فقيل عندها: نعقي بخير،

ويقال: نعيب نعيبا، إذا قال: غاق غاق فقيل عندها: نعيب بشر.

وإذا ما قمنا بإدارة البحث حول الغراب في المصنفات اللغوية والمعجمات،

فسنجد أن أصحابها أدرجوا فيه الصفحات الكثيرة لبيان التشاؤم منه والتطير.

ولكن لا يخفى على أحد منا أن العقيدة الإسلامية جاءت لتغيير هذه المفاهيم

(1) انظر مجمع الأمثال 383:1
(2) ديوان جرير ق. 73
(3) مجمع الأمثال 384:1
الضالة، فقد قامت مفاهيم التشاؤم والتطير من الغراب على أساس غير سليم،
وبهذا فلا يجوز إقامة مثل هذه الأحكام على أحكام جاهلية، وخرافات باليئة، لا
تسمن ولا تغني من جوع.

وقد نهى الإسلام عن التطير والتشاؤم في مواطن كثيرة من الشريعة الغرإ،
ومنها الحديث الذي ساقه البخاري في صفات من يدخل الجنة بغير حساب، أنهم لابقرون، في جملة صفات أخرى.

وقد ربت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة قاعدة إيمانية عريضة لمن آمن بالله
وحده، فلا يقع شيء في ملكوت الله عزوجل إلا بما أراد، وهو نهج آمن به
أصحاب العقول النيرة المضيئة، لاعتقدهم بعقيدة القضاة والقادر.

وقد وقع الشاهد الوارد في قوله تعالى؛ ليعتبر الدليل بالدليل، في أنه لن يصيب
الإنسان إلا ما كتب له الله، ولا تأكد بعد قوله تعالى: "قل لن يُصيِّبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوَلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلِيُتْوَكِّلُوا المُؤْمِنُونَ". (1)

وبهذا فقد بين الله تعالى أن المكتوب سبع مهما كان السبب، فلا رأى القاضاء الله
تعالى. وفي حقيقة الأمر فإن هذا المنهج يوقع في الإنسان طمأنينة محضة، فللم
بعد يعتمد على التطير والخرافات والبدع.

(1) التوبة: 51.
وأول ما يطالعنا من اللغات البيانية، استعمال لفظة (الغراب)، فقد أُوحى بدقة الاستعمال التركيبي في المثل، فلم يستعمل المثال أي طائر، وإنما عمداً لاستعمال الغراب لما في وجهه من القبح والسوء، ولأن اسمه مشتق من الغربة، وبذلك يوجي بعمق الصورة المخفية فيه، فالغربة توجي بالوحشة والدهشة.

ومن اللغات اللغة التي وردت في المثل، التركيب الإضافي في قوله: غراب البَين؛ لأن هذا التركيب يوجي بوضوع الإضافة في مكانها، فقد أضاف الغراب إلى البين والبعد، ولعل الاشتراك الواقع بين الغراب ومضافه واضح؛ ولذا وقع الاختيار عليه.

وأما اختيار طائر الغراب دون غيره من الطيور فقد طابق الاستعمال التركيبي في المثل؛ ولذا فقد استعمل الغراب لاستدعاء الصورة المتمثلة به من قبح الصوت والصورة التي يحملها.

وقد وقع في الاستعمال التركيبي للمثل فقد وقعت صيغة المقارنة بين الغراب وغيره من الطيور، والمعنى المقصود ليست المقارنة الحقيقية بمعنى التفضيل أي تفضيل شيء عن شيء، وإنما وقوع المساواة بين قبح صورة الغراب وغيره، وبرز قبح صورة الغراب على غيره من الطيور، التي تحمل الصورة القبيحة.
"والأصل في اسم التفضيل أن يكون المفضل والمفضل عليه مختلفين بالذات؛ ففي صورة الاتحاد ضعف المعنى التفضيلي، فهذا شيء يؤيده العقل البشري، ويؤيده المنطق الذي نعلم أن المفضلة تقع بين طرفين مختلفين، ولست بين شيئين مترادفين". (1)

وللنظر أن التفضيل في المثل، قد احتل مكانة متميزة على المستوى التركيبي والذلالي، فقد قابل قبح الصورة بأفقي ما تقابل؛ ليوصح عمق الصورة.

وإذا ما دقعنا النظر في صوت الشين الانتشاري المتنحي المهموس، فنلاحظ أن حرف الشين وقع فيه ساكنا غير متبوغ بتصائت؛ ليعطي مزيدا من البعيد الانتشاري، ويزيد في البعد الإيقاعي له.

وهذا الصوت قد أخفى شيئا من انتشار رقعة المثل بين الناس لمجرد رؤية الغراب من جانب، ولانتشار رقعة التشاؤم من جانب آخر، وغياب مساحة التفاوئ.

وكان إحساس التشاؤم قد امتك قلوب الناس وإحساسهم لمجرد رؤية الغراب، أو النظر إليه.
وإذا وقفنا على صيغة (أَشَاءُ) من حيث الدلالة الحسية، فإنها تدل على صلة واتصال بين ما ضرب به المثل، وما أريد لتلك الصورة من القبح. وفي هذا يقول إبراهيم أنص: الشؤم ضد اليمين، والسود من الإبل، حتى ينتقل إلى قوله: وهـذا فهل وقع نقل الدلالة إلى مجال المحسوسات ؟، إنه يدل على صلة واتصال بين الدلالتين في المكانية والزمنية.

وإذ هذا المعنى يظهر تطبيق قبح صورة التشاؤم الواردة في المثل، بصورة سواد الغراب - طائر الشؤم عند العرب - لينطبق في المكان الذي وجد فيه، والزمان الذي وجد فيه، فنال الناس يتشائمون من المكان والوقت الذي يظهر فيه.

(1) التحليل النحوي في الدرس اللغوي ص 67.

(2) انظر دلالة الألفاظ ص 165.
على أهله تنجبت براقص (1):

يُضرب المثل لمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه.

وقد روى الميداني عدة روایات للمثل وهي، أن براقص كلبة لقوم من العرب، فأغير عليهم فهربوا ومعهم براقص، فاتبع القوم آثارهم بنبئ بـ براقص، فهجموا عليهم.

وروي إن براقص امرأة كانت لبعض الملك، وكان له موضع إذا فزعوا دخنوا فيه، فإذا أبصره الجند اجتمعوا، وإن جواريها عبثت ليلة فذخت فجاء الجند، فنصحها البعض إن ردت الجند دون طلب، فلم يرجعوا لحاجتها أبدا، فتأمرتهم بصنع بناء قرب القصر، فلم شاهد الملك ذلك، سأل عنه، فقالوا: هو لبراقص، فقال: على أمه تنجبت براقص فصارت مثلًا.

وقال الشرقي بن القطامي: براقص امرأة لقمان بن عاد، وكان لقمان لا يأكل لحوم الإبل، فدفع له بعرق من جوز فأكله لقمان دون أن يعلم، فقال: ما هذا؟ فما تعرقت قط طبيبا مثله، فلما علم لقمان ذلك أقبل لقمان على إبنها فسرع فيها.

وفي إبن قومها، وفعل ذلك بنو أبيه لما أكلوا لحوم الجوز (2).

(1) مجمع الأمثال (14:2) (2427)، أمثال العرب ص 151، جمهيرة الأمثال 2:2، فصل المقال ص 495.

(2) كتاب الأمثال ص 333، اللسان (برقش).

(14:2) انظر فيما سبق: المجمع 14:2.
وأيًا كان الأمر في رواية المثل، فإن معاني الروايات السابقة كلها تصب في معنى واحد، ألا وهو من فعل صنيعًا، وعاد صنيعه عليه بالضرر.

ومن المفيد الإشارة إلى أن هذا المثل عند النظر فيه للوهلة الأولى، يحمل دلالتين يمكن تصورهما، الأولى هي أن الإنسان ربما صنع صنيعًا، حسنًا وعاد عليه الصنيع بالضرر والشر، لأنه ربما صنع هذا المعروف في غير أهله، والثانية المتصورة هي أنه صنع صنيع سوء، وعاد عليه صنيعه بما فعل من السوء. وقد شاع لدى الناس أن مفهوم المثل هو من فعل السوء، لقي جرّاء فعلته السوء، ولكن عند الرجوع إلى الروايات التي رُويت في شرح المثل لا يظهر لنا معنى أن من فعل السوء لقي جرّاء فعلته السوء، ولكن شيواع المعنى قد جاء من شيواع العرف في الناس، حيث تعارف الناس على أن الإنسان يبني على نفسه بتصرفات أولى به ألا يفعلها.

وربما فعل الإنسان عملا جنياً عليه السوء والعقاب، ولكنه لم أركب الفعل كان بجهله منه دون علم، وبهذا فقد جرّ عليه جهله الشر، وفي هذا إشارة إلى وجوه التنكر في الأمور وحسابها قبل التصرف.
ويعكس هذا المثل من الجوانب التربويّة الكثير، ففيه دعوة إلى تأمل الإنسان

تصرفاته وأفعاله قبل أن يفعلها، لما في ذلك من حسن النتائج والعواقب.

ومن الجوانب التربويّة التعليمية التي يغطيها المثل، أن وزن الأعمال يكون على
قدر النتائج، فمن فعل الخير، لقي جزاء فعلته الخير والمعروف، ومن فعل
الشر، لقي جزاء فعلته الشر والسوء.

ويطالعنا من اللفظات البيانية في هذا المثل، التصور المتُمثّل بفعله براقش ومن
فعل صنيعها، فقد صوّر المثل فعله براقش وما آلت إليه نتائج فعلته، بصورة من
فعل أمرًا معيّنًا وليقي جزاء فعلته السيئة الشر، والمعنى المرمي إليه أن صانع
الشر لا بد وأن ينال جزاء فعله السوء، لأن الشر لابد وأن يرجع على صاحبه.

وأما اللفظات اللغوية التي تظهر في المثل، فتتثمّل التقديم والتأخير، فقد
أُخْتِرَت الجملة الفعلية: جنّت براقش وقدم عليه، شبه الجملة: على أهلها،
وفي هذا التقديم يُظهر لنا المثل أهمية المقدم، وأن المتضرر الأكبر من وقع عليه
فعل الفاعل، فإذا ما قيس الضرر الواقع على الطرفين المتضرر والمتسبب
بالضرر، علمنا أن الضرر الواقع على الجماعة، أبلغ من الضرر الواقع على
الفرد الذي تسبب بالضرر.
"وقد ورد المثل في قول حمزة بن بيش : 
لم تكن عن جناية لحقّتي لايساري ولايمني يرثني
بل جناها أخ عليّ كريم وعلى أهلها براشتجني
وقد سبق المثل، وقّدم شبه الجملة (على أهلها) على الفعل (تجني)، وقد قدمت لذلك التفسير؛ فإن جماليات الاستعمال الدلالي وقعت منصبة على من وقع عليه ضرر براش. ولكن تجرأ الشعر مرتين فقدّم شبه الجملة (على أهلها) على الفعل تجني، ثمّ قدم الفاعل: براش على الفعل نفسه. فالشعر أكثر جرأة في انتهائه
الأنماط التركيبية المألوفة". (1)
وإذا ما دققنا النظر في ذلك، وجدنا أن دوال المعاني على الألفاظ، قد سيطرت على المثل تارة، وعلى الأبيات الشعرية تارة أخرى، فالعمدة للفظ، فقد تحكّم اللفظ في تنظيم ألفاظ البيت وتسقيةها. وهذا لا يمنع من النظر إلى دور المعاني الدلاليّة في الأبيات، وما تؤديه من وظائف. وفي بروز شبه الجملة أيضا يظهر لنا تعلقنا بالمحيجوف، وهذا المحيجوف ما دل عليه المثل وهو فعلتها، أي أصبح

(1) الخصائص الأسلوبية للمثل، ص60 وما بعدها.
المعنى المقصود هو: تجري برآش على أهلها بفعلتها، وأما بالنظر إلى الجملة
الفعلية تجري برآش، فهي تُظهر أيضاً من خلال استعمال الفعل المضارع أن
الفعل دائم التكرار، وأنه لا يقف عند برآش وحدها، وإنما يُتبع من غيرها
أيضاً.
وأما على رواية المثل بنطاق الفعل الماضي: على نفسها جدت برآش، فقد علم
من ذلك أنْ فعلتها وإن وقعت في الماضي وانصرمت، ولكن صنعيها فاض
واشتهر حتى أضحى مثلًا يُضرب للمستقبل، وفي ذلك ما يشعر بأن الماضي وإن
قُدر له الانتهاء، ولكنه يحيا بالتقادم مع مرور الزمن حين تتشابه الأفعال، وتُصبح
مثلًا يُضرب بعضها ليقوي بعضها الآخر.
والحديث عن المستقبل بصيغة الماضي أسلوب درجت عليه العربية، واستُعمل
في التنزيل الحكيم في مواطن عديدة.
ويمكن ملاحظة عودة الضمير في قوله ( أهلها ) على متأخر وهو ( برآش )
والأصل في الضمير أن يعود على متقدم، ولعل في ذلك إشارة إلى أن الأمر بدأ
من عندها وينتهي إليها.
أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً (1):

هذا المثل أصله من حديث شريف، قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا رسول الله، هذا نصره مظلوماً، كيف نصره ظالماً؟ فقال: تمنعه من الظلم (2). وللعربي مذهب في النصرة على كل حال، وقد أورد الميداني (3) أول من قال هذا المثل، وهو جندب بن العبنر، في هذا البيت:

يا أيها الكريم المشكور
أنصر أخاك ظالماً أو مظلوم
ويقينهم من حديثه عليه الصلاة وسلم بوضوح أن نصرته ظالماً، إنما تقع بمنعه من الظلم، أما مذهب العرب فكانت النصرة على أي حال، إن كان ظالماً أو مظلوماً.

وعند النظر في المثل نجد عبارته للوهلة الأولى تحمل دلالتين، وهي نصرة الأخ إن كان ظالماً أو مظلوماً، وقد طابق المثل نص الحديث، ولمّا سمع الصحابة ذلك وقعوا في العجب، فسألوا عن ذلك، فبين لهم الرسول الكريم أن

(1) مجمع الأمثال: 334:2 (4202).
(2) مسند الإمام أحمد: 99.
(3) انظر تفاصيل القصة في مجمع الأمثال: 334:2 وما بعدها. والمشكلة من الشكلة، الشكيمة: الأفقة والنصران من الظلم والعبيد، وشکمّة شکمّا وشکیما: عضنة.
النصرة الحقيقية في نصرته مظلمًا، أما في حال كونه ظالماً، فتقع النصرة بالأخذ على يده، وذلك بمنعه من الظلم، لا إعانته على الظلم، وفي هذا إشارة إلى بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد وردت العبارة على هذا النحو لكي تقع راسخة في العقول والأذهان.

ومنهًا يُشار إليه أيضًا أن هذا المثل عالج ضرباً من ضروب التفكير، حيث أشار المنهج التربوي النبوي إلى حقيقة النصرة، لا كما اعتقدوا العرب وسارت بينهم، أُضيف إلى ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم قد أشاروا إلى المنهج التعليمي السليم، وهو السؤال عن الإشكال الذي وقعوا فيه من خلال الفهم المتبادر إلى الأذهان أولاً، وفيه أن واجب المتعلم سؤال المعلم عن كل إشكال ذهني وقع له صعوبة فهم الكلام عنه، أو حتى لو تبادر الخاطر للفهم الأول الذي أخطأه العقل عند سماعه، فلا يذهبن بك الخاطر إلى المتبادر أولاً دون التفكير به وتمحيصه.

ومن القضايا التي يعالجها المثل أيضًا قضية عقدية محضة، أشار إليها القرآن الكريم، وهي منتزعة من قوله جل جلاله: "يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أفداكم". (1)

(1) محمد 7.
وفي هذه الآية إشارة واضحة للمعالم، أضاءت الطريق للعقوبة التي تربع عليها عرش الجهل، لتكون نصاً دستورياً يتعهد بنصرة الحق فقط، أمّا الباطل فـلا نصرة له أبداً، ولذا إنما تقع النصرة للرسول وطائفة المؤمنين، وقد حدها القرآن الكريم بنصرة الحق ودين الله تعالى، وبهذا يعمد القرآن الكريم إلى إلغاء العصبات الجاهلية التي تعتقد بالنصرة لمن كان قريبها أو حليفها من غير النظر إلى حقيقة أمر المنصور، ومن غير النظر إلى حكم الله تعالى في المسألة.

ومن القضايا التربوية التي يعالجها المثل أيضاً أن نصرة الطالب بمنعه من الظلم عدالة للأخرىن، فقد حقق المثل قضية تربوية وعدالة اجتماعية، تنص على نشر العدالة بين الناس أجمعين، لأنه عندما تقع نصرة الطالب بمنعه من الظلم، يحقق هدف عظيم، وغاية مطلوبة في المجتمع، هي نشر العدالة التي قام عليها المجتمع الإسلامي السليم، ومحاربة كل من عبث بهذا الدستور، حتى لا تنقض عرّا المجتمع المؤمن الذي يقوم على التواجد والعدالة والتواجّم، ويسود فيه نظام قائم على مبادئ لا تتزعزع أركانها.
ويطالعنا من اللفظات البيانية في هذا المثل لفظة ( نصر ) ، وإن هذه اللفظة معناها العون والغوث ، وأرض منصرة: مغبطة ، ونقول ، : نصر الله الأرض : فسمي المطر نصرأ ، ومن المجاز : نصر الغيث الأرض نصرأ : غانه وسقاها وعمها بالجواد وأنبتها ، ومن المعاني المجازية أيضاً :وقف السائل على القوام بقوله :

انصروني نصركم الله ، يريد أعطوني أعطاكم الله.

وأما يثير الانتباه أيضاً في لفظ المثل : نصر، ورود الأمر فيه على وجهين ، فقد ازدوج أسلوب الأمر بطلبين هما: نصرة الظلم بمنعه من الظلم ، ونصرة المظلم بمعونته : (انصره طالماً وانصره مظلمًا) .

وأما اللفظات اللغوية الواردة في المثل فمنها قوله : طالماً أو مظلمًا ، يجوز أن يكونا حالين من قوله أخاك ، ويجوز أن يكونا حالين من المضمر المستتر في الأمر ، والمعنى انصره طالماً إن كنت خصمه ، أومظلمًا من جهة خصمه ، أي لا تسلمه في أي حال كنت.

(1) انظر المجمع 335:2.
وعند النظر إلى صوت (الطاء)، فلا يخفى ما له من أثر في الدلالات، لأن صوت الطاء من الأصوات المخفمة، والتي تعكس شيئًا من ضخامة الموقف، وأن ينطلق من فكرة مفادها تعظيم أمر الظلام.

فقد استخدم صوت الطاء المخفم في الكلمتين، ليؤكد فكرة رفض الظلام على كل المستويات، وليؤكد شيئًا من قوة الارتداد الإيقاعي، ليناسب رفض المستوى الذي يفرزه الظلام من ألم للآخرين.

وأما دلالة الحال في اللفظين (طالما أو مظلوما) فليبيان واقع موجود، وهو وجود الظالم والمظلوم، فدائما تتواجد النقيض بين الأطراف في الحياة، وفي المثل وُجد الظالم والمظلوم، فحالهما الذي وقعت فيه دائم التكرار والتجدد والاستمرار، وقد وقع كلا الحالين نكرة حتى لا يُعتد بشخصيهم، فلا يجب النظر إلى حال الظالم مهما كان شخصه، ولا حال المظلوم مهما كان شخصه.

وقد حمل المثل السابق مشتقين هما (الظالم و المظلوم)، وفي هذا إشارة إلى وجود الأضداد في الحياة، فالنقيضان لا يجتمعان، وكذلك لا يقع اجتماع الظلام والعدالة في آن واحد، أو حتى في مكان واحد، فوجب رفع النقيضين حتى تتساوى دلالات المسألة.
النتائج والتوصيات

توجه البحث، نتيجة للبحث والدراسة، إلى عدد من النتائج قادته إليها البحث العلمي، وهذه النتائج هي:

- إن كتاب الميداني مهم من كتب الأمثال العربية، لما حوت طياته من كثرة الأمثال العربية القديمة، فهو حقاً كما أسماء مصنفه مجمع الأمثال، وقد صاحب شرح هذه الأمثال أخبرها التاريخية، ودقائق مسائلها النحوية، ولفائف إشاراته على مواطن الحسن والجمال فيها، إضافة إلى ما لها من ترابط مع أمثال أخر أشار إليها المصنف عند شرح الأمثال.

- إن الأمثال العربية نصوص متداخلة في البنية التراكيبية، فمن نظر في الأساليب المستخدمة فيها من صور فنية، وأساليب الإنشاء المتعددة عرف أنها متداخلة البنية، يقوتي بعضها بعضها الآخر.

- إن للأمثال العربية دورًا مهمًا في التوجيه والإرشاد، فهي بمثابة تجارب جزئية، ولكنها ترمو إلى مرتبة الاستغراق والشعور إذا ما غادرت حيزة الذذي ضُرِبت فيه، وأفاد منها الآخرون.
نقل الميداني نقولاً كاملاً عن كتاب حمزة الأصفهاني "الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة". لذا، يجب أن يطابق كتاب حمزة على نص كتاب الميداني عند دراسته، لتمييز ما وقع عند حمزة من الشرح عملاً وقع عند الميداني.

• اشتملت الأمثال على خصائص فنية كثيرة منها:
  - الإصابة في المعنى.
  - قصر العبارة.
  - بلاغة العبارة.
  - استخدام الأساليب اللغوية المتعددة مثل الاستفهام والأمر والنهي والنفي والشرط، التي من شأنها توضيح المثل الممرض، والغايّة من ضرره.
  - استخدام الأساليب الدينية المتعددة مثل الاستعارة والتشبيه والكتابة وغير ذلك.
• جاءت الأمثال لتحقق غايات تربوية في المجتمع، وتصوب السلوك المذموم في المجتمعات لتنقل بها من التصرفات الخاطئة إلى الصواب، وتحقق غايات اجتماعية معينة في المجتمع، من شأنها أن تجعل المجتمع أكثر تماساً وترابطًا في مواقف يجب أن يكون المجتمع فيها كذلك.
• الصبغة الدينية التي تجلت بها بعض الأمثال العربية، والتي تتم استقراها من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو الشعر لتسجيل أخلاقاً حسنة نماست عن حسن التفكير، وعظم الهدف المنشود منها.
أمّا التوصيات فهي:

• عمل فهرسة شاملة مفصلة للكتاب، يتم فيها تخرّيج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأشعار الواردة في الكتاب، وعقد فهرس بأسماء الشعراء، وفهارس بالأعلام الواردة في الكتاب. فهذا كله يسهل العودة للكتاب والاستفادة من مضامينه.

• فهرسة الأمثال من حيث مصادرها (أمثال القرآن والحديث والشعر وأقوال العرب الفصحاء)، وفهرستها من حيث الموضوعات (إسلامية وعندية واجتماعية وتربوية)، وفهرستها من حيث الأساليب (السردية القولية والقصصية وغير ذلك).

• إعادة تحقيق الكتاب تحقيقاً علمياً حديثاً، فالباحثون والمؤثرون بحاجة إلى نسخة علمية محققة للكتاب؛ لأن أفضل طبعات الكتاب المحققة طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد التي ظهرت في وقت مبكر، وقد استجذب في عالم التقييم منذ عبد الحميد حتى الآن معطيات كثيرة. لذا، بانت المكتبة العربية بحاجة إلى تحقيق حديث للكتاب يفيد من تلك المعطيات.

• إجراء دراسة مقارنة بين الأمثال الفصيحة والأمثال المولدة.
المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- الأشباهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (1967). المستطيرف في كل فن مستطيرف. ط2 تحقيق د. سعيد محمد قميفة، بيروت: دار الكتب العلمية.


- الآصفهاني، الحسن بن محمد بن المفضل. معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهد إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بضون.


- الأنصاري، جمال الدين عبد الله. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. دراسة وتحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.


- بروكلمان، كارل. تاريخ الأدب العربي. ط3، نقله إلى العربية ( رمضان عبد التواب )، راجع الترجمة يعقوب بكر، القاهرة: دار المعارف.

- الترمذي ، محمد بن عيسى، سنن الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- التكريتي، عبد الرحمن. دراسات في المثل العربي المقارن. معهد البحوث والدراسات العربية.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (1405 هـ). التعرفيات. تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتب العربي.
- جرير. ديوان جرير. بيروت: دار صادر.
- تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مع الكتب تعيينات الذهبي في التلخيص.
  بيروت: دار الكتب العلمية.
- الحداد، فيصل مفتاح (1998). الأمثال الموددة وأثرها في الحياة الأدبية في
  العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تحليلية).
  بنغازي: منشورات جامعة قار بونس.
- حلوني، محمد خير (1999). الغماني الجديد في علم الصرفة. ط.5، بيروت:
  دار الشرق العربي.
- الحموي، ياقوت. معجم الأدباء، بيروت: دار المستشرق.
- ابن حنبل، أحمد (1999). مسند الإمام أحمد بن حنبل. الأحاديث مدحية بأحكام
  شعيب الأرنؤوط عليها، القاهرة: مؤسسة قرطبة.
- ابن خلدون، أحمد بن محمد. وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان. تحقيق
  إحسان عباس، بيروت: دار صادر، لات.
- خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنيفي (1994). كشف الظنون عن
  أساسي الكتب والفنون، ط 1، بيروت: دار الفكر.
- الخويبي، يوسف بن طاهر (2000). فرائد الخرائدة في الأمثال، ط.1، تحقيق
  عبد الرزاق حسين، الأردن: دار النافذة.

- الزبيدي ، محمد مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت: مطبعة حكومة الكويت.


- الزمخشري ، محمود بن عمر (1962). المستقصى في أمثال العرب. ط1، طبع برخصة الجامعة العثمانية.

ط 4، بيروت: مجمع البيان الحديث، الدار الإفريقية العربية، دار الكتاب اللبناني.

السجستاني، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مع الكتاب تعليقات كمال يوسف الحوت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني.

عليها، دار الفكر.


السلفي، سالم عبد الرب صالح (1999). الخصائص الأسلوبية للمثل في كتاب مجمع الأمثال للميدانية، (رسالة ماجستير)، جامعة عدن، اليمن.

ابن أبي سلمي، زهير. ديوان زهير. شرحه وضبط نصوصه وقتم له د.عمر فاروق الطبيع، بيروت: شركة دار الأرقام بن أبي الأرقام.


السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. المؤرخ في علوم اللغة
وأنواعها. تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفاقه، بيروت: دار الفكر.
- شامي، أحمد جميل (1992). معجم حروف المعاني، ط1، بيروت: مؤسسة
عز الدين.
- شاهين، يوسف محمود محمد يونس، (1996). الجملة الفعلية ودلالاتها في
مجمع الأمثال. أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
(رسالة ماجسيرة)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1999). فتح القدر في الجامعة بين فن
الرواية والدررية من علم التفسير، ط1، تحقيق فريل علان، الرياض: مكتبة
الرشد.
- الشيباني، محمد بن علي العبدري (1982). تمثال الأمثال، ط1، تحقيق أسعد
ذبيان، بيروت: دار المسيرة ودار بيروت.
- الصفدي، صالح الدين خليل بن أبيك (1981). اللواف بالوفي سبعة
محققين. فرانزشتاين: فيسبادن، ج7.
- الضببي، المفضل بن محمد (1983). أمثال العرب. ط2، قدّم له وعلّق عليه
إحسان عباس، بيروت: دار الرائد العربي.


ط1، تحقيق د. قصي الحسين، بيروت : دار ومكتبة الهلال.

العبد، طرفة. ديوان طرفة. تقديم وشرح كرم البستاني، بيروت : دار صادر.


أحمد عبد السلام، وخرج أحاديثه محمد سعيد زغلول، بيروت : دار الكتب العلمية.


ط1، الزرقاة : مكتبة المنار.


- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقر. المصاحب المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. بيروت: المكتبة العلمية.


الفوجي، محمد بن مصلح الدين مصطفى (1999). حاشية محبي الدين شيخ
زادة على تفسير البيضاوي. ط1، ضبطه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين ،
بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.
- الكنانعة، عبد الله محمد طالب (2007). الصراع بين التراكيب النحوية. ط1،
إربد: دار الكتاب الثقافي.
ط1، عمان: دار المسيرة.
- الماوردي، (1955). أدب الدنيا والدين. ط3، تحقيق مصطفى السقا ،
القاهرة.
- ابن منצור، محمد بن مكرم. لسان العرب. ط1، بيروت: دار صادر.
- الميداني، أحمد بن محمد بن أحمد. مجمع الأمثال. ط1.
- تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية.
- النسائي، أحمد بن شعيب (1406 - 1986) المجتهبي من السنن. ط2، تحقيق

عبدالفتاح أبوغدة، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية.


ط1، القاهرة: مكتبة الإيمان.

- الهاشمي، نور الدين علي بن أبي بكر (1412). مجمع الزوائد. بيروت: دار الفكر.


- اليوسي، الحسن (2003). زهر الأكم في الأمثال والحكم. ط1، تحقيق

وشرح وفهرسة قصي حسين، بيروت: دار ومكتبة الهلال.